سلسلة
غزوات الرسول الأعظم
صلى الله عليه وسلم

الدكتور شوقي أبو خليل

غزوة مؤتة

غزوة جيش الأمراء

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان



دار الفكر
دمشق - سورية

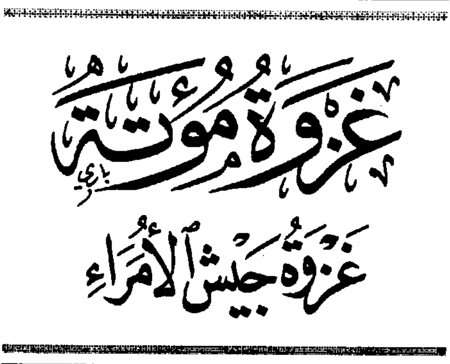
الرقم الاصطلاحي للسلسلة: ٣٠٠٤
الرقم الاصطلاحي للحلقة: ٠٦٢٩,٠٣١
الرقم الدولي للسلسة: ISBN: 1-57547-102-7
الرقم الدولي للحلقة: ISBN: 1-57547-108-6
الرقم الموضوعي: ٢٧٠
الموضوع: السيرة النبوية
السلسلة: غزوات الرسول الأعظم
العنوان: غزوة مؤتة
التأليف: الدكتور شوقي أبو خليل
الصف التصويري: دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق
عدد الصفحات: ١٥٢ ص
قياس الصفحة: ١٤× ٢٠ سم
عدد النسخ: ١٥٠٠ نسخة

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية
برقياً: فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
E-mail: info @fikr.com

١٩٩٩
اعمال العقل
مفتاح التقدم

إعادة
١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م
ط١: ١٩٨٣م

بسم الله الرحمن الرحيم



غزوة مؤتة : غزوة جيش الأمراء / شوقي أبو خليل. ـ دمشق : دار الفكر
، ١٩٩٦. ـ ١٥٢ ص : ؛ ٢٠ سم.
١ ــ ٩٥٦,٠٢ خ ل ي غ ٢ ـ ٢١٩,٥ خ ل ي غ
٣ ــ العنوان ٤ ـ أبو خليل
مكتبة الأسد
ع ــ ٧١٥ / ٦ / ١٩٩٦

مَا بَدَأَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حرباً قطّ ،
إذ كان حريصاً ألا يُراق دم إنساني
فهو نبيُّ المرحمة .
ولكن إذا كانت لامحالة واقعة كان رَجُلَها
الأول . . فهو نبيُّ الملحمة .
لقد كان عظيماً في رحمته بالناس ،
عظيماً في استعداده للحرب ، عظيماً في
خططه ، عظيماً في تحقيق النّصر واستثماره .



تصدير

☆ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَـذِيراً ، وَلكن أَكْثَرَ النَّـاسِ لا يَعْلَمُون ﴾ .

[سبأ : ٢٨]

بسم الله ، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله ، وبعد .

كانَ من الطبيعي ـ اتبـاعـاً للتسلسل الزمني ـ أن نورد بعـد صلح الحديبية مباشرة ، وقبل غزوة خيبر ، كلمة عن رسـائل رسول الله ﷺ إلى الملوك والأمراء المعاصرين له ﷺ ، فقد كانت هذه الرسائل في فترة الهدنة سنة ٦ للهجرة .

وأخَّرت إيراد هذه الرسائل والحديث عنها لما بعـد غزوة خيبر عن قصد ، سببه هدفان :

أ ـ عدم ارتباط هذه الرسائل بغزوة خيبر ، فإيرادهـا كان ممكنـاً مراعاة لزمن وقوعها ليس غير .

ب ـ ارتباط هذه الرسائل ارتباطـاً مبـاشراً بغزوة مُؤْتَـة ، بل لقـد كانت مُؤْتَة نتيجة من نتائج هذه الرسائل .

وكعـادتنـا في الأجـزاء التي سبقت من هـذه السلسلـة ، سلسلـة :

(غزوات الرسول الأعظم) في إيراد بعض الشبهات التي أثارها ويثيرها بعض المستشرقين المعادين لتراثنا وتاريخنا ، مع الردّ عليها ، نورد هنا شبهة كبيرة عظيمة كما أرادها صاحبها ، صغيرة بسيطة متداعية عند عرضها على محك البحث التاريخي المنهجي العلمي .

يقول دافيد صموئيل مرجليوث : لم يوجّه محمد أي كتاب للملوك والأُمراء خارج الجزيرة العربيّة ، ودليلنا على ذلك : أننا لم نعثر على أثر لهذه الكتب في تاريخ هؤلاء الملوك والأُمراء[1] .

ونثبت هنا رأي موير القائل : إنَّ فكرة عموم الرسالة جاءت فيما بعد ، وإن هذه الفكرة على الرغم من كثرة الآيات والأحاديث التي تؤيّدها ، لم يفكّر فيها محمد نفسه ، وعلى فرض أنَّه فكَّر فيها ، فقد كان تفكيراً غامضاً ، فإنَّ عالمه الذي كان يفكّر فيه إنما كان بلاد العرب ، كما أن هذا الدين الجديد لم يُهَيَّأ إلاّ لها ، وأن محمداً لم يوجّه دعوته منذ بُعِثَ إلى أن مات إلاّ للعرب دون غيرهم . وهكذا نرى أن نواةَ عالميَّة الإسلام قدْ غُرِست ، ولكنها إذا كانت قد اختمرت ونمت بعد ذلك ، فإنّما يرجع

---

(١) تاريخ الإسلام ، جـ ١ ص ١٥٧ ، الطبعة السّادسة . ولترجمة هذا المستشرق الإنكليزي الموصوف (بالأعلام) : « وله في لغته كتب عن الإسلام ، لم يكن فيها مخلصاً للعلم ، على الرغم من توسّعه في معرفة المسلمين وأدبهم » راجع مقدمة كتابنا (غزوة خيبر : الفتح القريب) .

ويشارك مرجليوثَ في شبهته نورثَ C. R. North في كتابه (موجز عن الإسلام : An Outline of Islam) ، ط : ١٩٣٤ ، ص ٣٤ حيث أنكر الرسائل .

هذا إلى الظروف والأحوال أكثر منه إلى الخطط والمناهج[1] .

ويقول غيتاني : لم يتخطَّ محمد بفكره حدود الجزيرة العربيَّة ليدعو أُمم العالم في ذلك الوقت إلى هذا الدين[2] .

ويقول كارل بروكلمان : وليس من الميسور أن نقرر على وجه الدقة ما إذا كان النبي نفسه قد استشعر أنه مدعو لمثل هذه الرسالة العالمية[3] .

☆ ☆ ☆

وقبل أن نناقش بالتفصيل رأي دافيد صموئيل مرجليوث في رسائل النبي ﷺ ، نعرِّج في هذا التصدير إلى عالمية الإسلام التي شكَّ فيها كل من غيتاني وموير وبروكلمان ، ونطرح السؤال التالي :

هل من المعقول أن رسول الله ﷺ ما كان يعرف غير الجزيرة العربية[4] ؟

وهل من المعقول أيضاً أنها كانت عالمه الوحيد الذي لم يفكِّر في سواه ؟

---

(١) Muir: The Caliphate pp. 34-44 .

(٢) Caetani: Annali del Islam v.p. 323-324 .

(٣) تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٧٠ و ٧١ ، الطبعة الرابعة .

(٤) راجع الجلسة الرابعة (عالمية الإسلام) ، والجلسة الخامسة (رسائل مزوَّرة) في كتابنا (الإسلام في قفص الاتهام) .

وما البرهان على أن الإسلام لم يُهَيَّأ إلاَّ لجزيرة العرب ؟

ألم تعمل قريش بالتجارة ، فاتَّصلت بدول معاصرة لنشوء الدولة العربيَّة الإسلاميَّة في المدينة المنوَّرة ، كالروم والفرس واليمن والحبشة ؟

ورسول الله ﷺ ذاته ، ألم يسافر وهو ابن تسع مرَّة ، وثانية وهو ابن خمس وعشرين سنة بتجارة إلى الشام ؟ فهل يُعْقَل أنه ﷺ لا يعرف غير بلاد العرب ، وهو الرجل العصامي (الأمين) ، الذي اكتسب مكانته الرفيعة الرائعة في مكة قبل البعثة بعقله وكفايته ومواهبه ، مع عصمة الله عز وجل وعنايته به ؟

ونقول بمنطق ومنطلق المستشرقين : رسول الله ﷺ الذي خرج من مكة مهاجراً ناجياً بنفسه ونفس صاحبه الصدِّيق أن يتخطفهما الناس ، لائذاً بأهل المدينة الذين آووه ونصروه ، وبعد تربية مضنية أثمرت صبراً وجهاداً ، عاد إلى بلده الأمين مكة فاتحاً وهو السيِّد المطاع ، والسيِّد الآمر في جزيرة العرب كلِّها ، تحوم حول شخصه الكريم مئة ألف من القلوب أو تزيد ، هل يُسْتَبْعَد عن هذا الرجل أن يَرْنُو بناظريه إلى ما وراء الجزيرة ، ليبسط سلطانه إن كان من محبِّي السُّلطة والحكم ، أو ليفيض من نور وفضل الله الذي غمر الجزيرة العربيَّة ، وملأها أمناً وإيماناً ، وعدلاً ومحبَّة ؟

لو قيل لمستشرق مكابر حاقد : إنَّ الاسكندر المكدوني كان يعمل على تكوين إمبراطورية تشمل العالم القديم كلَّه ، وجعله يلتقي حول

هذا الشاب الإغريقي بعد أن يجعل ثقافته ولغته إغريقيَّة ، لصدقنا .

ولو قيل : سعى جنكيز خان لمثل هذه الإمبراطوريَّة لصدقنا .

ولو قيل : إنَّ نابليون كان يعمل على تكوين إمبراطوريَّة تشمل العالمين القديم والحديث ليجلس على عرشها ، لصدقنا .

ولو قيل : إنَّ أدولف هتلر سعى أيضاً لمثل هذا ، لصدقنا .

أما إذا قيل : إن محمد بن عبد الله ﷺ فكَّر في أن يدعو خلق الله المتاخمين لجزيرة العرب ، والمتَّصلين بقريش اتصالاً تعيش عليه قريش ، وينبني على أساسه كلُّ شيء في بيئتها ، فذلك في عُرْفِ مرجليوث وموير وغيتاني أمر يعزُّ على البحث النزيه ، والعقل الحر أن يقبله ، إلاَّ أن يكون تفكير ذلك النبي في هذا الأمر تفكيراً على نحوٍ غامض ! !

☆ ☆ ☆

والقول بأن هذا الدين : (لم يُهَيَّأ إلاّ لبلاد العرب) ، قول مرفوض عقلاً وواقعاً ، لعدم ثبوت الادعاء أصلاً ، إذ لا برهان على أن الإسلام إنما خُصَّت به أُمَّةُ العرب دون غيرها من الأُمم[1] ، وثبت من القرآن الكريم أن الإسلام قد هُيّء لكل حالة ، وأنه يستوعب كل الأُمم ، ويعم

(١) وجان س. ريسلر في كتابه الحضارة العربيَّة ، ترجمة غنيم عبدون ، نشر الدار المصريَّة ، ص٢٧ ، قال : « رب العرب » ، موضِّحاً أن الإسلام للعرب فقط دون غيرهم .

العالمين : ﴿ إنْ هُوَ إلاّ ذِكْرٌ لِلعَالَمِينَ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبأَهُ بَعْدَ حِين ﴾[1] ، وجاءت الأحداث التاريخيَّة منذ عهد رسول الله ﷺ حتى أيامنا هذه لتثبت انتشار الإسلام بين الأُمَم على اختلاف قومياتها ، دون أن تجد في تعاليمه ، وفي مبادئه ، أنَّه مخصَّص للعرب فقط ، ولا يعنيها .

أمَّا الآية الكريمة : ﴿ وَكذلِكَ أَوْحَيْنَا إليكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[2] ، ينطبق عليها ما ينطبق على أي مبدأ أو خبر في العالم قديماً ، فأي خبر في أي جزء من الأرض يمكن أن تتناقله الدنيا في لحظة واحدة ، وأن يعرفه العالم كلُّه - في العصور الماضية - في لمح البصر ؟

وأي غرابة في أن يأتي القرآن الكريم كتاب الإسلام الخالد بلغة العرب ؟

وإذا لم ينزل بلغة من نزل بينهم ليحملوه إلى الناس ، ويبلّغوه للعالمين ، فماذا يمكن أن يكون ؟

وإن الابتداء بالأهل والعشيرة منطلق طبيعي ، بل بداية الانطلاق إلى العالم دعوة الأهل والأقربين ومن حوله من عشيرته وقومه : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين ﴾[3] .

---

(1) [ص : ٨٧ و ٨٨] .

(2) [الشورى : ٧] .

(3) [الشعراء : ١١٤] .

ومَن يدرس القرآن الكريم ـ نصّاً وروحاً وهو بلغة العرب ـ لا يجد فيه ما يخص فريقاً دون فريق ، أو قوماً دون قوم ، أو أُمَّةً دون أُمَّة .

وكونه بلسان عربي ، ليس إلاّ وصفاً له باللغة التي نزل بها .

ويؤيِّد عمومَ الرسالة ، وعالميةَ الإسلام ، قولُهُ ﷺ متنبِّئاً وجاء الواقع كما تنبَّأ :

إنَّ بلالاً أول ثمار الحبشة .

وإنَّ صُهَيْباً أول ثمار الروم .

وإنَّ سلمان أول ثمار الفُرْس .

وهذا تصريح بجلاء ، لا تلميح ولا التواء ، أَنَّ الإسلام ليس مقصوراً على الجنس العربي ، كلُّ ذلك قبل أن يدور بخلد العرب أي شيء عن حياة الفتوح والحروب بزمن طويل .

وأَدلَّة أُخرى نجملها ، تثبت تفكير رسول الله ﷺ بعموم الرسالة وعالمية الإسلام ، وعلى أَنَّه تخطَّى بفكره حدود الجزيرة العربيَّة ، ليدعو أُمم العالم إلى هذا الدين :

أ ـ تنبُّؤ رسول الله ﷺ عند الهجرة لسُرَاقة بن مالك أَنَّه سيلبس سواري كسرى ونطاقه : « كيف بك يا سُرَاقة إذا سُوِّرت بسواري

كسرى ؟ قال سراقة : كسرى بن هرمز ؟ قال ﷺ : نعم »[1] .

٢ ـ قال رسول الله ﷺ لأُمِّ حرام بنت ملحان زوجة عبادة بن الصامت : « ناس من أُمَّتي عُرِضُوا عليَّ يركبون ثَبَجَ البحر مثل الملوك على الأَسِرَّة ، قالت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال ﷺ : أَنتِ معهم » ، فكانت أُمُّ حرام في غزوة قبرص ، وماتت بها[2] .

فركوب البحر الذي تنبَّأ به رسول الله ﷺ لنشر لواء الإسلام أين سيكون ؟

هل سيركب الصحابة البحر من المدينة إلى نجد ؟ وهل سيكونون في سفن كأنَّهم الملوك على الأَسِرَّة قاصدين الرُّبْعَ الخالي بعد مغادرة مكة ؟

٣ ـ وقال رسول الله ﷺ في وصيته : « إن الله سيفتح عليكم بعدي مصر ، فاستوصوا بقبطها خيراً ، فإنَّ لهم فيكم صهراً وذِمَّة »[3] ، فهل مصر في جزيرة العرب ؟

٤ ـ وأثناء حفر الخندق قبيل وصول الأحزاب ، أخذ ﷺ المعول

---

(١) لقصة وخبر سراقة بن مالك بن جُعشم المدلجي راجع : الكامل في التاريخ ، جـ٢ ص٧٤ ، البداية والنهاية ، جـ٣ ص١٨٥ ، ابن هشام ، جـ٢ ص٩٦ ، الوفا بأحوال المصطفى ، جـ١ ص٢٤٠ ، عيون الأثر ، جـ٢ ص١٨٤ ، السِّيرة النبويَّة ، جـ١ ص٣٧٢ ـ ٣٧٥ .

(٢) البداية والنهاية ، جـ٧ ص١٥٢ .

(٣) الطبري ، جـ٤ ص٢٢٨ .

وقـال : « بسم الله ، بسم الله ، وضرب ضربـة فكسر ثلث صخرة اعترضت سلمـان الفـارسي ومن معــه ، وبرقت برقــة فخرج نـور من قبـل اليمن كالمصبـاح في جوف ليـل مظلم ، فكبَّر رسـول الله ﷺ وقـال : أُعطيت مفاتيح اليمن ، إني لأُبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا ، ثم ضرب الثانية ، فقطـع ثلثـاً آخر ، فخرج نـور من قبـل الروم ، فكبَّر رســول الله ﷺ وقال : أُعطيت مفاتيح الشـام والمغرب ، والله إني لأُبصر قصورهـا الحمر ، ثم ضرب الثـالثـة فقطـع بقيـة الصخرة ، وبرقت برقــة ، فكبَّر وقــال : أُعطيت مفـاتيح فـارس ، والله إنِّي لأُبصر قصور الحيرة ومـدائن كسرى كأنهـا أنيـاب الكـلاب في مكاني هـذا ، إنّي لأُبصر قصر المــدائن الأَبيض الآن ، وجعـل ﷺ يصف لسلمـان أمـاكن فــارس ، ويقـول سلمــان : صدقت يا رسول الله ، هذه صفتها ، أَشهد أَنَّك رسول الله ، ثم قال رسول الله ﷺ : هذه فتوح يفتحها الله بعـدي يـا سلمـان ، أخبرني جبريل أَنَّ أُمتي ظـاهرة عليهـا ، فـأبشروا يبلغهم النصر ، فــأبشروا يبلغهم النصر ، فأبشروا يبلغهم النصر »[1] .

وقــال ﷺ أيضــاً يبشِّر المسلمين ويثبتهم : « أبشروا بعــون الله ونصره ، إنِّي لأرجو أن أَطوف بالبيت العتيق ، وآخذ المفتاح ، وليهلكنَّ كسرى وقيصر ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا

---

(١) الطبري ، جـ ٢ ص ٥٦٩ .

كسرى بعده، والذي نفسي بيده لتنفقنَّ كنوزهما في سبيل الله»[1].

٥ً ـ وقال ﷺ: «إنّي بُعِثْتُ رحمة وكافة فأدّوا عني يرحمكم الله»[2].

٦ً ـ وقال ﷺ لرسولَيْ باذان ـ كما سيمر مفصَّلاً ـ: «إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى».

٧ـ الآيات الدالَّة بوضوح على عالمية الإسلام:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾[3].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[4].

﴿ قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إنِّي رَسُولُ اللهِ إلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾[5].

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ ﴾[6].

هذا .. وألفاظ القرآن الكريم دقيقة جداً، وواضحة جداً.

---

(١) السِّيرة النبويَّة لابن كثير، جـ٣ ص ٢١٠.

(٢) الطبري، جـ٢ ص ٦٤٥.

(٣) [الفرقان: ١].

(٤) [سبأ: ٢٨].

(٥) [الأعراف: ١٥٨].

(٦) [التوبة: ٣٣].

فنوح مرسل إلى قومه فقط : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ ، فَقَالَ : يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[1] .

ولوط أيضاً لقومه فقط : ﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ العَالَمِينَ ﴾[2] .

وشعيب لقومه فقط : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً ، قَالَ : يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[3] .

وصالح إلى ثمود فقط : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ﴾[4] .

وهود إلى عاد فقط : ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً ﴾[5] .

فالآيات جليَّة واضحة محدَّدة ، فنوح ولوط وشعيب وصالح وهود ، كلٌّ لقومه فقط . أمَّا محمد بن عبد الله ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ ﴾[6] ، فكيف فهم مرجليوث وموير وغيتاني وبروكلمان ، أنَّ العالمين تعني العرب فقط ؟

لقد عمَّت رسالة الإسلام الخافقين ، وشملت الأبيض والأصفر

---

(١) [الأعراف : ٥٩] .

(٢) [الأعراف : ٨١] .

(٣) [الأعراف : ٨٤] .

(٤) [الأعراف : ٧٣] .

(٥) [هود : ٥٠] .

(٦) [الأنبياء : ١٠٧] .

والأحمر، ولم يحس أحـد من هؤلاء أن الإسـلام لا ينـاسبـه ، ولم يخصَّص به ، ولا أنَّه مستورد إليه من صنف آخر من البشر، بل أحسَّ كل واحـد أنَّ الإسلام له ، وأنَّه ينظِّم كيانه وحياته .

☆ ☆ ☆

أمَّا ادعاء دافيد صموئيل مرجليوث : « لم يوجِّه محمَّد أي كتـاب للملوك والأمراء خارج الجزيرة العربيَّة ، ودليلنا على ذلك أننـا لم نعثر على أثر لهـذه الكتب في تاريخ الملوك والأمراء » ، فدحضه ونقضه بما يلي :

بعض هذه الكتب محفوظ إلى يومنا هـذا ، ففي اسطنبول رسـالـة النبي ﷺ إلى المقوقس ، محفـوظـة في متحف (تـوب كابي Top Kapi) ، ونشرتها مجلة العربي الكويتية في عددها ١١٠ ، صفحة ٤٩ .

وننشر هنا صورة رسالته ﷺ إلى المنذر بن سـاوى أمير البحرين ، ورسالة هرقل ، ورسالة النجاشي[١] ...

وكيف لم يعثر داڤيـد صموئيـل مرجليـوث على أثر لهـذه الكتب في تاريخ هؤلاء الملوك والأمراء ، وقد قامت حروب من أجلها ؟!؟ فمؤتـة سنة ٨ للهجرة ـ وباعتراف بروكلمان ـ كانت ثأراً من الحارث بن أبي شمّر

---

(١) سنذكر الكتب كلَّها على الصفحات التالية . وصور المتوفِّر لدينا منها ، مع وثيقة صحة هـذه الكتب .

الغسَّاني الذي قتل رسول رسول الله إليه، شجاع بن وهب الأسدي[1].

واعترف بروكلمان أيضاً بوصيَّة رسول الله ﷺ بأهل مصر: «فإن لهم فيكم صهراً وذمة»، ووجود مارية القبطية نفسها زوجة لرسول الله ﷺ لدليل على الرسائل، فلولا رسالة النبي ﷺ إلى المقوقس والتي حملها حاطب بن أبي بلتعة، لما وصلت مارية إلى جزيرة العرب.

وتاريخنا العربي الإسلامي لا يؤخذ من مستشرق مثل داڤيد صموئيل مرجليوث الموصوف ببعده عن الحقّ والمنطق والصواب على الرغم من سعة اطلاعه، علماؤنا العرب المسلمون مصدر تراثنا، وهم ينبوع تاريخنا. وأي أُمَّة في الدنيا ـ غيرنا ـ تعتمد على مصادر أعدائها عند دراسة تاريخها وتراثها؟

هل تكترث اليابان ـ مثلاً ـ برأي أمريكة عند تدوين تاريخها؟

وهل تعبأ ألمانية برأي فرنسة عند كتابة تاريخها؟ والعكس صحيح، هل تعبأ فرنسة برأي ألمانية عند كتابة تاريخها؟!!

وهل تترك الهند مصادرها لتعتمد على مصادر بريطانية عند دراسة تراثها؟

---

(١) هذا رأي بروكلمان، والأصح أن شُرَحبيل بن عمرو الغسَّاني هو الذي قتل الحارث بن عُمَير الأزدي رسول رسول الله ﷺ، راجع: أُسد الغابة، جـ١ ص٤٠٨، والإصابة في تمييز الصحابة للعسقلاني، جـ١ ص٢٨٦، والاستيعاب في أسماء الأصحاب للقرطبي، جـ١ ص٣٠٤.

فمصادرنا العربيَّة الإسلامية هي الأساس الرَّاسخ - والأوَّل والأخير - عند تدوين أو دراسة تاريخنا العربي الإسلامي .

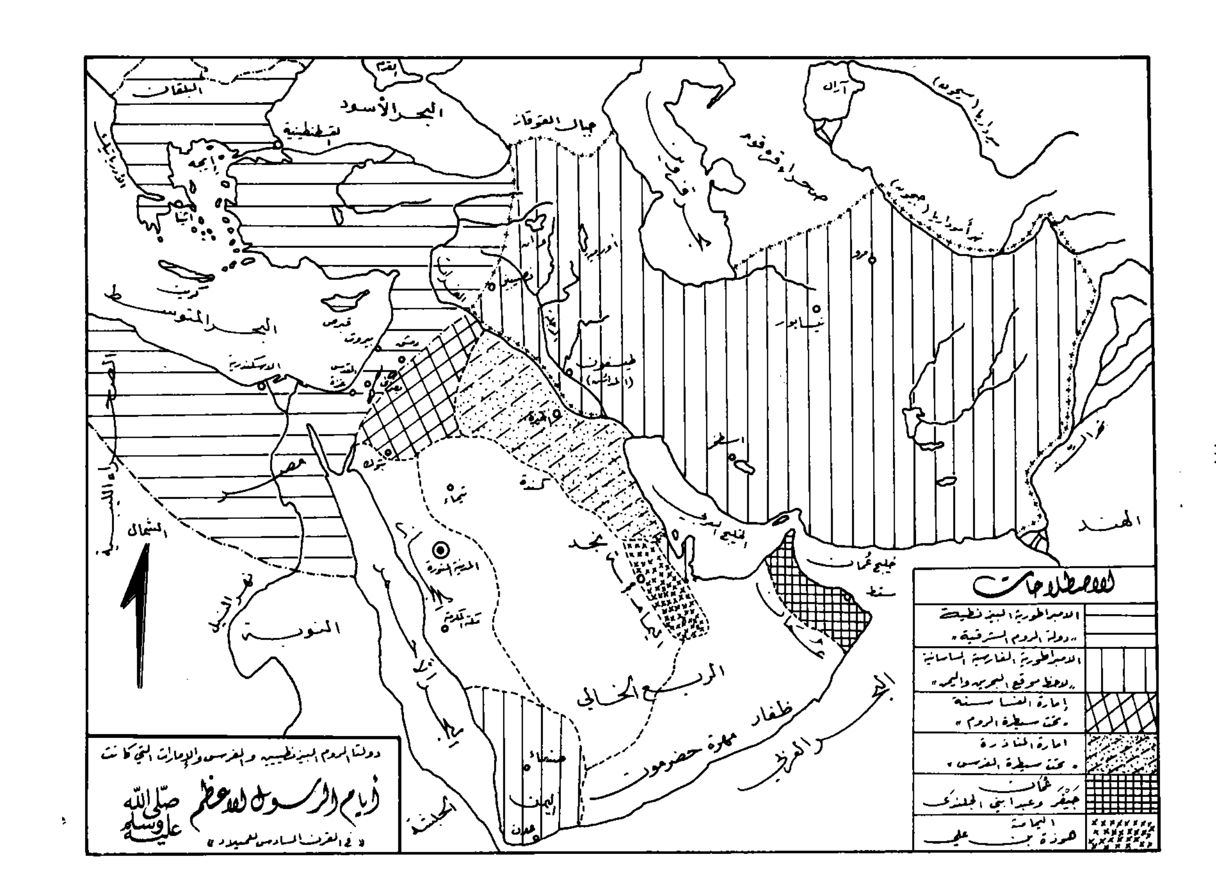
فإلى هذه الرسائل بالتفصيل كما وردت في مصادرنا العربية الإسلامية ، التي وضع مؤلفوها أُسس البحث والتحقيق من الراوي والرواية ، فقدموا إلى العالم البحث التاريخي المنهجي العلمي ، ومن ثَمَّ إلى أخبار غزوة مُؤْتَة التي كانت نتيجة لرسالة من هذه الرسائل ، مع الحفاظ على النصوص التاريخية دون تشويه ، ومع تدوين رأينا بوضوح .

معتمدين على الله وتوفيقه ، فهو من وراء القصد .

دمشق : ٢٢ المحرَّم الحرَّام ١٤٠٣ هـ
الموافق : ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٢ م

شوقي أبو خليل
دمشق - سورية
ص . ب ٦٢٢٢
Shawki@ Fikr.com




دولتا الروم البيزنطية والفرس والإمارات التي كانت
أيام الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم
« في القرن السادس للميلاد »
الاصطلاحات
الامبراطورية البيزنطية « دولة الروم الشرقية »
الامبراطورية الفارسية الساسانية « لاحظ موقع البحرين واليمن »
إمارة الغساسنة « تحت سيطرة الروم »
امارة المناذرة « تحت سيطرة الفرس »
عُمان جيفر وعبد ابني الجلندى
اليمامة هوذة بن علي
البلقان
البحر الأسود
القسطنطينية
جبال القوقاز
صحراء قرقوم
البحر المتوسط
قبرص
بيروت
دمشق
الإسكندرية
القدس
مصر
الشمال
نهر النيل
النوبة
تيماء
المدينة المنورة
مكة المكرمة
نجد
كندة
الحيرة
طيسفون (المدائن)
نيسابور
الخليج العربي
خليج عمان
مسقط
الهند
الربع الخالي
ظفار
مهرة
حضرموت
بحر العرب
صنعاء
اليمن
عدن
الحبشة



كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى الملوك والأمراء

☆ قام ﷺ ذات يوم على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وتشهَّد ثم قال: «أما بعد، فإنِّي أُريد أَن أَبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم، فلا تختلفوا عَلَيَّ كما اختلفت بنو إسرائيل على عيسى بن مريم».

فقال المهاجرون: يارسول الله، إنا لانختلف عليك في شيء أَبداً، فَمُرْنا وابعثنا.

- السيرة النبوية لابن كثير: ٣/٥٠٧.

والبداية والنهاية: ٤/٢٦٨.





☆ «أما بعد، إنَّ الله بعثني رحمة وكافَّة، فأدُّوا عني يرحمكم الله».

رسول الله ﷺ

تَمْهِيدٌ:

قام ﷺ ذات يوم على المنبر خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وتشهَّد ثم قال: «أما بعد، إن الله بعثني رحمة وكافة، فأدُّوا عني يرحمكم الله، فإنِّي أُريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم، فلا تختلفوا عَلَيَّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم قالوا: وكيف يارسول الله كان اختلافهم؟ قال ﷺ: دعاهم لمثل مادعوتكم له، فأمَّا من بعثه مبعثاً قريباً رضي وسَلَّم، وأمَّا من بعثه مبعثاً بعيداً كره وأبى، فشكا ذلك عيسى إلى ربِّهِ، فأصبحوا وكل منهم يتكلَّم بلغة القوم الذين وُجِّه إليهم[1]».

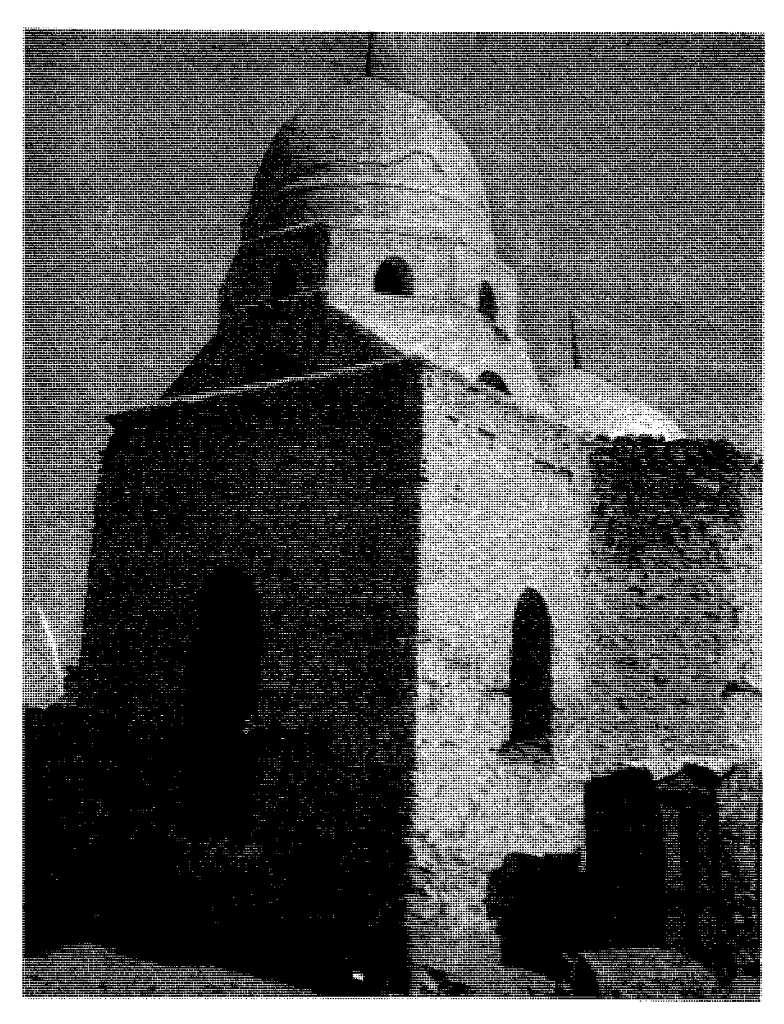
(١) ابن هشام، جـ٤ ص١٨٨، السيرة الحلبية، جـ٣ ص٢٧٠، السيرة النبويَّة والآثار المحمديَّة، جـ٢ ص٥٦، السيرة النبويَّة لابن كثير، جـ٣ ص٥٠٧، البداية والنهاية، جـ٤ ص٢٦٨، وفي رواية ابن سعد (الطبقات الكبرى: ١/٢٦٤): قال ﷺ لأصحابه: «وافوني بأجمعكم بالغداة، وكان ﷺ إذا صلى الفجر حُبِسَ في مُصَلاَّه قليلاً يُسَبِّح ويدعو، ثم التفت إليهم فبعث عِدَّةً إلى عِدَّة، وقال لهم: انصحوا للهِ في عباده، فإنَّه من استُرْعِيَ شيئاً من أمور الناس ثم لم ينصح =



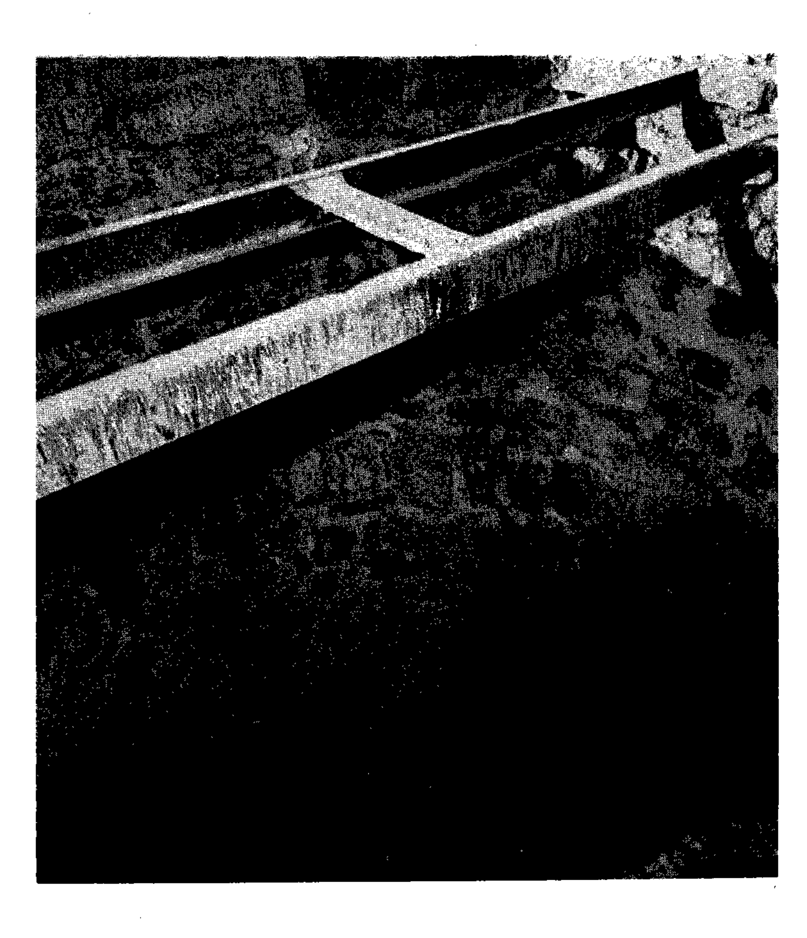
خاتم رسول الله ﷺ

ولما أراد ﷺ أن يكتب للملوك قيل لـه : « يـارسول الله ، إنَّهم لا يقرؤون كتـابـاً إلاَّ إذا كان مختومـاً » ، أي ليكون في ذلـك إشعـارٌ بـأَنَّ الأحوال المعروضـة عليهم ينبغي أَن يكون ممـا لا يطَّلـع عليهـا غيرهم ، ويكون الغرض من ذلـك أيضـاً أَمن التزوير، لعـدم إمكان

= لهم حَرَّم اللهُ عليـه الجنَّـة ، انطلقـوا ولا تصنعـوا كما صنعت رُسُـلُ عيسى بن مريم فـإنهم أتـوا القريب وتركوا البعيـد ، فـأصبحوا ـ يعني الرُّسل ـ وكل رجلٍ منهم يتكلَّم بلسـان القوم الـذين أُرسل إليهم » . وذكر ابن سعد بعد ذكر مهر الرسائل بالخاتم الرسمي : « فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد » .



تحت هذه القبة عين أريس وبئر الخاتم



بئر الخاتم التي سقط فيها خاتم رسول الله ﷺ من يد عثمان بن عفان رضي الله عنه

وقوعه مع الختم، فاتخذ ﷺ خاتماً من فضَّة، عليه ثلاثة أسطر: محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر، والأسطر الثلاثة تُقْرأ من أسفل إلى فوق، فمحمد آخر الأسطر، ورسول في الوسط، والله فوق. وكانت الكتابة مقلوبة لتكون على الاستواء إذا ختم بها، فكان ذلك الخاتم في يده ﷺ، ثم في يد أبي بكر، ثم في يد عمر، ثم في يد عثمان، حتى وقع في بئر أَرِيس[1]، في السَّنة التي توفي فيها عثمان رضي الله عنه، فالتمسوه ثلاثة أيام، فلم يجدوه.

وكان ﷺ يضع الخاتم في خنصر اليد اليسرى، وهو المروي عن عامَّة الصحابة، وقيل: كان في خنصر اليمين، وهو المروي عن طائفة، منهم ابن عباس وعائشة.

☆ ☆ ☆

١ـ كتاب رسول الله ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة:

يقول المؤرخ شمس الدين محمد بن علي بن طولون الدمشقي في كتابه: (إعلام السَّائلين عن كتب سيد المرسلين): «وإنما بدأنا به لكونه أَسلم لما وصله الكتاب، وردَّ جوابه ردّاً حسناً»[2].

---

(١) بئر أريس: بفتح الهمزة وتخفيف الراء، هي بئر معروفة قريباً من مسجد قُباء عند المدينة، لسان العرب، جـ٦ ص٦.

(٢) محمد بن علي بن طولون: [٨٨٠ـ٩٥٣ هـ/١٤٧٥ـ١٥٤٦م] مؤرخ عالم بالتراجم والفقه، من أهل الصالحية بدمشق، كانت أوقاته معمورة كلها بالعلم والعبادة، وله مشاركة في سائر العلوم، =

حمل الرسالة إلى النجاشي عمرو بن أُميَّة بن خويلد بن عبدالله بن إياس بن عبيد بن ناشرة بن كعب بن جُدَيّ بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الكناني الضمري، يكنى أبا أُميَّة[1].

وعمرو بن أُمية صاحب ماض عريق في الإسلام، بعثه رسول الله ﷺ وحده عيناً إلى قريش، فحمل خُبيب بن عدي من الخشبة التي صُلِب عليها، أسلم قديماً، وهو من مهاجرة الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة، وأوَّل مشاهده بئر معونة. وكان رسول الله ﷺ يبعثه في أموره، وكان من أنجاد العرب ورجالها نجدةً وجراءةً.

أُسِرَ في بئر معونة، فقال له عامر بن الطفيل: إنَّه كان على أُمي نَسَمة، فاذهب فأنت حُرٌّ عنها، وجزَّ ناصيته. توفي رضي الله عنه آخر أيام معاوية قبل الستين.

فلما أتى عمرو النجاشي، وجد في قصره باباً صغيراً يدخل منه الأحباش كأنهم سُجَّداً أمام النجاشي، فلما رأى عمرو ذلك ولَّى ظهره القهقرى ودخل منه، فشقَّ على الأحباش في مجلسهم عند النجاشي،

= حتى في التعبير والطب، كتب بخطه كثيراً من الكتب، وعلَّق ستين جزءاً أسماها (التعليقات). لم يتزوَّج ولم يعقب. من كتبه (إعلام السَّائلين عن كتب سيد المرسلين)، مطبوع عن مبيضة المؤلف رحمه الله، وهو في دار الكتب الوطنية الظاهرية تحت رقم: س-٢٦٣، و٢١٢٢، الأعلام: جـ٧ ص١٤٨.

(١) أسد الغابة، جـ٤ ص١٩٣.

حتى همُّوا به، وقالوا للنجاشي: إن هذا لم يدخل كما دخلنا، فقال: مامنعك أن تدخل كما دخلوا؟ قال: إنَّا لانصنع هذا بنبيِّنا، ولو صنعناه بأحد صنعناه به. قال: صدق دعوه. فقالوا للنجاشي: هذا يزعم أن عيسى مملوك، قال: فما تقول في عيسى؟ قال عمرو: كلمة الله وروحه، قال النجاشي: مااستطاع عيسى أن يعدو ذلك.

ثم قال عمرو بن أُميَّة: ياأصحمة، عَلَيَّ القول وعليك الاستماع، إنَّك كأنَّك في الرِّقة علينا منا، وكأَنا في الثقة بك منك، لأنَّا لم نظن بك خيراً قط إلاَّ نلناه، ولم نَخَفْكَ على شيء قط إلاَّ أَمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك، الإنجيل بيننا وبينك شاهد لايُرَد، وقاض لايجور، وفي ذلك الموقع الخَيِّر وإصابة الفضل، وإلاَّ فأنت في هذا النبيّ الأُمي كاليهود في عيسى بن مريم، وقد فرَّق النبي ﷺ رسله إلى الناس، فوجَّه رجلاً إلى كسرى، ورجلاً إلى قيصر، ورجلاً إلى المقوقس، فرجاك لما لم يرجهم له، وأَمَّنك على ماخافهم عليه لخير سالف[1] وأجر ينتظر.

فقال النجاشي: أشهد بالله أَنَّه النبيّ الأُمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وإن بشارة موسى براكب الحمار، كبشارة عيسى براكب

---

(١) الخير السالف: إيواء النجاشي للصحابة المهاجرين، وبقاء جعفر بن أبي طالب ومن معه تحت رعايته وحمايته.

الجمل[1] ، وأن العيان ليس بأشفى من الخبر.

الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى النجاشي الأَصْحَم ملك الحبشة ، سَلْمٌ[2] أنت ، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاَّ هو الملك القدُّوس السَّلام المؤمن المهيمن[3] ، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته أَلقاها إلى مريم البتول[4] الطيِّبة الحصينة فحملت به ، فخلقه من روحه ، ونفخه كما خلق آدم بيده ، وإنّي أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإنّي رسول الله ، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بَلَّغت ونصحت ، فاقبلوا نصيحتي ، والسَّلام على من اتبع الهدى »[5] .

---

(١) إعلام السائلين ، ص ٤ ، السّيرة النبويّة والآثار المحمديّة ، جـ ٢ ص ٦٨ .

(٢) سَلْمٌ أنت : أي أنت سالم ، لأن السلم يأتي بمعنى السَّلامة ، وفي الطبري ، جـ ٢ ص ٦٥٢ : « سلام أنت » .

(٣) المَلِكُ : النَّافذ الأَمر في ملكه ، القُدُّوس : المبارك ، السَّلام : الذي سلم من عذابه من لا يستحقه ، المؤمن : الشاهد بوحدانيته ، أو الذي أَمِنَ من عذابه من لا يستحقه ، المهين : الشاهد ، الرقيب ، الحافظ . راجع : (تفسير أسماء الله الحسنى لأبي إسحق إبراهيم بن السّري الزّجّاج) تحقيق الأستاذ أحمد يوسف الدقاق ، ط : ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ، ص ٣٠ و٣١ و٣٢ .

(٤) البتول : المنقطعة عن الرجال التي لا شهوة لها فيهم ، أو المنقطعة عن الدنيا وزينتها ، (السّيرة النبويّة والآثار المحمديّة ، جـ ٢ ص ٦٧) .

(٥) إعلام السَّائلين ، ص ٤ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٦٥٢ ، السّيرة الحلبيَّة ، جـ ٣ ص ٢٧٨ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ، جـ ١ ص ٢٥٩ .

ولما استلم النجاشي الكتاب وعلم ما فيـه ، وضعـه على عينـه ، ونزل عن سريره فجلس على الأرض ، ثم أسلم ودعا بِحُقّ من عـاج فجعل فيـه كتاب رسول الله ﷺ ، وقال : لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم[1] .

وكتب النجاشي كتاباً جواباً لكتـاب رسول الله ﷺ وهو : « بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمـد رسـول الله من النجـاشي الأَصْحَم بن أَبجر ، سلام عليك يا نبي الله من الله ، ورحمـة الله وبركات الله الـذي لا إلـه إلاّ هو ، الذي هداني إلى الإسلام ، أما بعد ؛ فقد أَتاني كتابـك يـا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى ، فورب السَّماء والأَرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثُغْرُوقَـاً[2] ، وإنـه كما قلت ، ولقـد عرفنـا مـا بعثت بـه إلينـا ، ولقد قربنا ابن عمك وأصحابه[3] وأشهـد أنَّـك رسول الله صـادقـاً ، وقـد

---

(١) في طبقات ابن سعد ، جـ١ ص٢٥٨ : « حمل عمرو بن أُميَّة رسـالتين ، رسـالـة يـدعوه فيهـا إلى الإسلام ، ورسالة يأمره ﷺ أن يزوجه أُمّ حبيبة بنت أبي سفيان ، وأمره ﷺ أن يبعث إليـه بمن قِبَلَـه من أصحـابـه ويحملهم . ففعـل ، زوجـه أُم حبيبـة ، وحملهم في سفينتين مـع عمرو بن أُمية ، وبذلك يكون قول النجاشي : ودعا بِحُقٍّ من عـاج ، فجعل فيـه كتـابَيْ رسول الله ﷺ وقال : لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرها » .

(٢) ما له ثغروق : أي شيء ، وأصله قمع التمر ، أو ما يلتزق بـه قمعهـا . عيون الأثر ، جـ٢ ص٢٦٥ ، الطبري ، جـ٢ ص٦٥٣ .

(٣) أورد ابن إسحق أسماءهم ، ستـة عشر رجلاً ونسـاؤهم وأطفـالهم . راجـع : (السِّيرة النبـويَّـة لابن كثير ، جـ٣ ص٣٩١ و٣٩٢) .

بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العـالمين، وبعثت إليك بابني أرمى بن الأصحم، فإني لا أملـك إلا نفسي[1]، وإن شئت أن آتيك يا رسول الله فعلت، فإني أشهد أن ما تقوله حق، والسَّلام عليـك يا رسول الله»[2].

قال ﷺ: «اتركوا الحبشة ما تركوكم»[3].

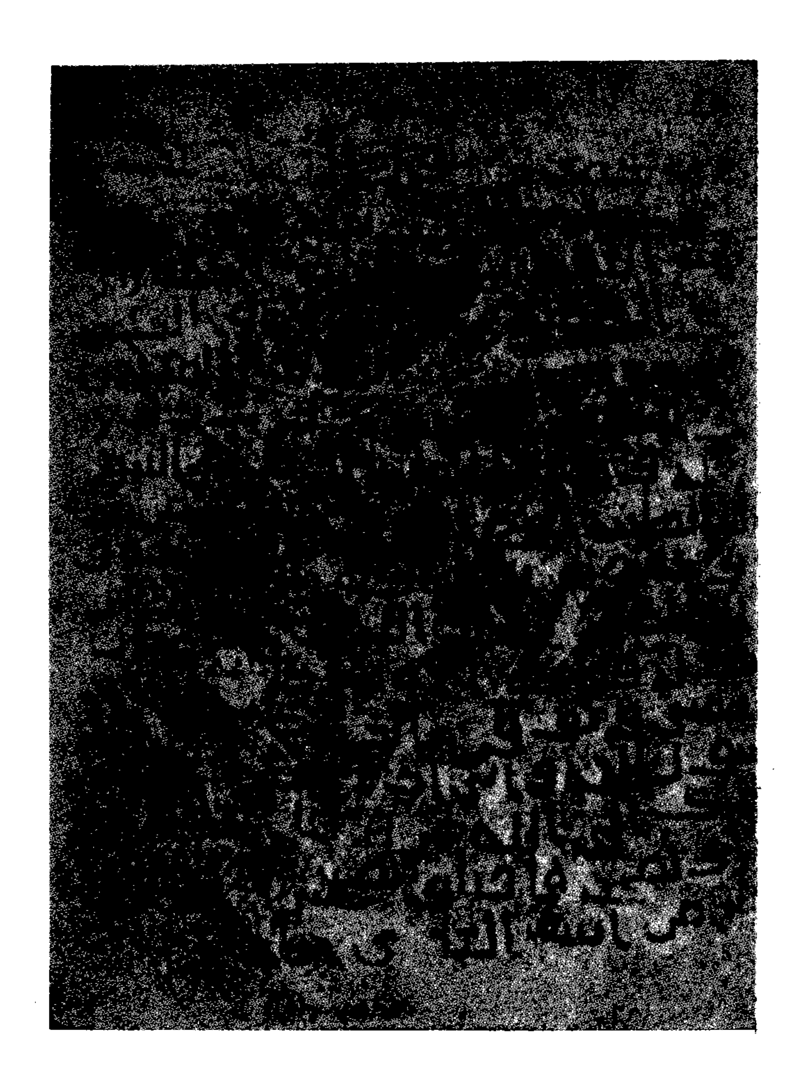
وتوفي النجـاشي سنـة تسع للهجرة ـ وفي روايـة سنـة ثمـان ـ وصلى عليه رسول الله ﷺ، بعد أن أخبر بموته يوم وفاته، وولي بعده نجـاشي لم يعرف إسـلامـه ولا اسمـه. وورد في صحيـح مسلم أن رسـول الله ﷺ كتب إليه أيضـاً: «من النبي ـ ﷺ ـ إلى النجـاشي عظيم الحبشـة، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إلـه إلا الله وحـده، لا شريك لـه لم يتخـذ صـاحبـة ولا ولـداً، وأن محمـداً عبـده ورسولـه، وأدعوك بدعاية الله، فإنِّي رسوله فأَسلم تسلم: ﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَـةٍ سَـوَاءٍ بَيْنَنَـا وَبَيْنَكُم أَلاَّ نَعْبُـدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِـهِ شَيْئـاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضـاً أَرْبَـابـاً مِنْ دُونِ اللهِ فَـإِنْ تَوَلَّوا فَقُولُوا اشْهَـدُوا بِـأَنَّـا

---

(1) ورد: «أن ابنه خرج في ستين نفساً من الحبشة في سفينة في البحر، فلما توسَّطوا البحر غرقوا كلهم». إعلام السَّائلين، ص ٥.

(2) السِّيرة النبويَّـة والآثـار المحمـديَّـة، جـ٢ ص٦٨، إعلام السَّائلين، ص ٤ و٥، السِّيرة الحلبيـة، جـ٣ ص ٢٧٩، الطبري، جـ٢ ص ٦٥٢ و٦٥٣.

(3) السِّيرة الحلبيَّة، جـ٣ ص ٢٧٩، السِّيرة النبويَّة والآثار المحمديَّة، جـ٢ ص ٦٨.



كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي

مُسْلِمُونَ ﴾[1] ، فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك »[2] .

☆ ☆ ☆

٢ـ كتاب رسول الله ﷺ إلى المنذر بن سَاوَى أمير البحرين :

قال ابن سيد الناس : كتب رسول الله ﷺ إلى المنذر بن سَاوَى مع العلاء بن الحضرمي كتاباً بعد انصرافه من الحديبية ، يدعوه فيه إلى الإسلام ، فَمَن المنذر ؟ وَمَن العَلاَء ؟

☆ المنذر بن سَاوَى بن عبد الله بن زيد بن عبد الله بن دَارِم التميمي الدارمي :

أمير البحرين ، أسلم فأبقاه رسول الله ﷺ عاملاً على البحرين ، روى أبو مُجْلَز عن أبي عبيدة عن عبد الله قال : كتب رسول الله ﷺ إلى المنذر بن سَاوَى : « من صلَّى صلاتنا واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذاكم المسلم »[3] .

---

(١) [آل عمران : ٦٤] .

(٢) إعلام السَّائلين عن كتب سيد المرسلين ، ص ٦ .

(٣) أُسد الغابة ، جـ ٥ ص ٢٦٧ .

☆ العَلاَءُ بن الحضرمي :

والحضرمي : عبد الله بن عباد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن أكبر بن عويف بن مالك بن الخزرج بن أبي بن الصَّدِف ، لا يختلفون أنه من حضرموت ، ولاَّه رسول الله ﷺ على البحرين[1] ، وتوفي ﷺ وهو عليها ، فأَقرَّه أبو بكر الصدِّيق خلافته كلها ، ثم أقرَّه عمر ، توفي في خلافة عمر سنة أربع عشرة ، فاستعمل عمر بعده أبا هريرة .

وهذا العلاء هو أخو عامر بن الحضرمي الذي قتل يوم بدر كافراً ، وأخوهما عمرو بن الحضرمي أَوَّل قتيل من المشركين قتله مسلم ، وكان ماله أَوَّل مال خُمِّسَ في الإسلام ، قتل يوم نخلة . وأُختهم الصعبة بنت الحضرمي ، تزوجها أبو سفيان وطلَّقها ، فخلف عليها عبيد الله بن عثمان التيمي ، فولدت له طلحة بن عبيد الله التيمي .

كان العلاء مجاب الدعوة ، خاض البحر بكلمات قالها ودعا بها ، ولما قاتل أهل الردة بالبحرين كان له في قتالهم أثر كبير[2] .

الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المنذر بن سَاوَى ،

---

(١) ليأخذ الصَّدقة من أغنيائهم فيردَّها في فقرائهم .

(٢) أُسد الغابة ، جـ ٤ ص ٧٤ .

سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلاَّ هو ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد ؛ فإنِّي أذكرك الله عز وجل ، فإنَّه من ينصح فإنَّما ينصح لنفسه ، ومن يطع رسلي ويتَّبع أمرهم فقد أطاعني ، ومن نصح لهم فقد نصح لي ، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً[1] ، وإنِّي قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه[2] ، وعفوت عن أهل الذنوب ، فاقبل منهم وإنَّك مهما تُصْلِحْ فلن نَعْزِلَكَ عن عملك ، ومن أقام على يهوديَّته أو مجوسيَّته فعليه الجزية »[3] .

وفي الروض الأُنُف[4] : لما قدم العلاء على المنذر قال له : يا منذر ، إنَّك عظيم العقل في الدنيا ، فلا تصغرن عن الآخرة ، إنَّ هذه المجوسيَّة شَرُّ دين ، وليس فيها تكرم العرب ، ولا علم أهل الكتاب ، ينكحون ما يستحيا من نكاحه ، ويأكلون ما يتكرم على أكله ، ويعبدون في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة ، ولستَ بعديم عقل ، ولا رأي ، فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب أن لا تصدقه ، ولمن لا يخون أن لا تأمنه ، ولمن لا يخلف أن لا تثق به ؟ فإن كان هذا هكذا ، فهو هذا النبي الأُمي الذي

---

(١) أي من قبولك للحق ، ورجاحة العقل .

(٢) أي من مال وزوجات أربع .

(٣) الكامل في التاريخ ، جـ٢ ص١٤٦ ، السِّيرة الحلبيَّة ، جـ٣ ص٢٨٣ ، السِّيرة النبويَّة والآثار المحمديَّة ، جـ٢ ص٧٣ ، عيون الأثر ، جـ٢ ص٢٦٦ و٢٦٧ .

(٤) الروض الأُنُف ، جـ٤ ص٢٥٠ .

والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول: ليت ما أمر به نهى عنه، أو ما نهى عنه أَمَرَ به، أو ليته زاد في عفوه، أو نقص من عقابه، إن كل ذلك منه على أمنية أهل العقل وفكر أهل البصر.

فقال المنذر: قد نظرت في هذا الأمر الذي في يدي، فوجدته للدنيا دون الآخرة، ونظرت في دينكم فوجدته للآخرة والدنيا، فما يمنعني من قبول دين فيه أُمنية الحياة وراحة الموت، ولقد عجبت أمس مِمَّن يقبله، وعجبت اليوم مِمَّن يردّه، وإن من إعظام من جاء به أن يعظم رسوله، وسأنظر فيما أصنع من الذهاب إليه أو مكاتبته.

لقد أسلم المنذر بن سَاوَى وَحَسُن إسلامه، ومات قبل رِدَّة أهل البحرين، وذكر ابن نافع أنَّه وفد على رسول الله ﷺ، ولم يصح ذلك.

وكتب المنذر لرسول الله ﷺ: «أما بعد، يا رسول الله، فإني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أَحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه فلم يدخل فيه، وبأرضي مجوس ويهود[١]، فأحدث إليَّ في ذلك أمرك»[٢]. فكتب ﷺ إلى العلاء[٣]: «فرائض الإبل والبقر والغنم والثمر والأموال»، فقرأ العلاء كتابه ﷺ على

---

(١) أي باقية على كفرهم.

(٢) إعلام السّائلين، ص٦.

(٣) المكلّف بأخذ الصدقات في البحرين أيام المنذر.

صورة :

رسالة رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوَى

الناس ، وأخذ صدقات أغنيائهم فردَّها في فقرائهم[1] .

☆ ☆ ☆

٣ـ كتاب رسول الله ﷺ إلى كسرى (أبرويز بن هرمز Cbosroees Eparwiz) :

☆ حامل الكتاب عبد الله بن حذافة السَّهمي :

عبد الله بن حُذَافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي : أسلم قديماً وصحب رسول الله ﷺ ، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية مع أخيه قيس ، وهو أخو خُنَيس بن حذافة زوج حفصة بنت عمر بن الخطاب قبل رسول الله ﷺ .

أرسله ﷺ بكتابه إلى كسرى يدعوه إلى الإسلام ، فمزَّق كسرى كتاب رسول الله ﷺ .

أسرت الروم عبد الله بن حذافة ، فقال له أميرهم : تَنَصَّرْ وإلا

---

(١) وفي طبقات ابن سعد ، جـ١ ص٢٦٣ : كما كتب رسول الله ﷺ إلى مجوس هَجَر يعرض عليهم الإسلام ، فإن أَبَوا أُخذت منهم الجزية ، وبأن لا تنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم . وهَجَر : مدينة هي قاعدة البحرين . قال ابن موسى : هجر قصبة بلاد البحرين . (معجم البلدان ، جـ٥ ص٣٩٣) .

ألقيتك في البقرة[1] . قال : ما أفعل ، فدعا بالبقرة النحاس فَمُلِئَتْ زيتاً وأُغْلِيت ، ودعا برجل من أسرى المسلمين فعرض عليه النصرانية فأبى ، فألقاه في البقرة ، فإذا عظامه تلوح ، وقال لعبد الله : تَنَصَّر وإلاَّ ألقيتك ، قال : ما أفعل ، فأمر به أن يُلقى في البقرة ، فبكى ، فقالوا : قد جزع ، قد بكى ، قال : ردُّوه ، قال عبد الله : لا ترى أني بكَيْتُ جزعاً مما تريد أن تصنع بي ، ولكني بكيت حيث ليس لي إلاَّ نفس واحدة يُفْعَلُ بها هذا في الله ، كنت أُحب أن يكون لي من الأنفس عدد كل شعرة فيَّ ، ثم تُسَلَّط عليَّ فتفعل بي هذا ، قال : فأُعجب منه ، وأحب أن يطلقه ، فقال : قَبِّل رأسي وأطلقك ، قال : ما أفعل ، قال : تنصَّر وأُزوجك ابنتي وأُقاسمك ملكي ، قال : ما أفعل ، قال : قَبِّل رأسي وأُطلق معك ثمانين من المسلمين . قال : أما هذه فنعم ، فقَبَّل رأسه وأطلقه وأطلق معه ثمانين من المسلمين ، فلما قدموا على عمر بن الخطاب ، قام إليه عمر فقبَّل رأسه ، فكان أصحاب رسول الله ﷺ يمازحون عبد الله فيقولون : قَبَّلت رأس عِلْج[2] ، فيقول لهم : أطلق الله بتلك القبلة ثمانين من المسلمين .

توفي عبد الله بمصر في خلافة عثمان[3] .

---

(١) البقرة هنا : القدر الكبيرة الواسعة ، سُمِّيت بقرة من التَّبَقُّر: التَّوسُّع ، أو كان قدراً يسع بقرة تامة بتوابلها فسمِّيت بذلك . لسان العرب ، جـ٤ ص٧٦ .

(٢) العِلْج : الرجل الشديد الغليظ ، والعلج الرجل من كفار العجم ، يقال للرجل القوي الضخم من الكفار: علج . لسان العرب ، جـ٢ ص٣٢٦ .

(٣) أُسد الغابة ، جـ٣ ص٢١١ .

الكتاب :

حمله عبد الله بن حُذَافة السَّهمي بعد منصرف رسول الله ﷺ من الحديبية ، ونَصُّه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله ، فإنّي أنا رسول الله إلى الناس كافة لأُنذر من كان حيّاً ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم ، فإن أَبيت فعليك إثم المجوس »[1] .

قال عبد الله بن حذافة : فانتهيت إلى بابه فطلبت الإذن عليه ، حتى وصلت إليه فدفعت إليه كتاب رسول الله ﷺ ، فَقُرِئ عليه ، فقال : يكتب إليَّ بهذا وهو عبدي[2] ؟! فأخذ الكتاب ومزّقه ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال ـ حسب الروايات ـ :

« مُزِّق ومُزِّقت أُمَّتُه »[3] .

---

(١) عيون الأثر، جـ٢ ص٢٦٢ و٢٦٣ ، الطبقات الكبرى ، جـ١ ص٢٥٩ ، السِّيرة الحلبية ، جـ٣ ص٢٧٧ ، الكامل في التاريخ ، جـ٢ ص١٤٥ ، ابن خلدون ، جـ٢ ص٣٧ ، السِّيرة النبوية لابن كثير، جـ٣ ص٥٠٧ و٥٠٨ و٥٠٩ ، الطبري ، جـ٢ ص٦٥٤ ، السِّيرة النبويَّة والآثار المحمدية ، جـ٢ ص٦٤ ، إعلام السَّائلين عن كتب سَيِّد المرسلين ، ص٩ .

(٢) السِّيرة النبويَّة لابن كثير، جـ٣ ص٥٠٨ .

(٣) إعلام السَّائلين ، ص٩ .

« يُمَزَّق مُلكه »[1] .

« مَزَّق الله ملكه »[2] .

« مُزِّق ملك كسرى »[3] .

« اللهم مَزِّق ملكه كل ممزَّق »[4] .

« اللهم مَزِّق مُلْكَهُ »[5] .

ثم كتب كسرى إلى باذان[6] ـ وهو نائبه على اليمن ـ : أن ابعث إلى هذا الرجل بالحجاز رجلين من عندك جَلْدين[7] فليأتياني به . فبعث باذان خرخسرة وبابويه[8] ، وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى .

فخرجا حتى قَدِما الطائفَ ، فوجدا رجلاً من قريش في أرض الطائف ، فسألوه عنه ، فقال : هو بالمدينة ، واستبشر أهلُ الطائف

---

(١) السِّيرة النبويَّة لابن كثير، جـ٣ ص٥١٣ .

(٢) إعلام السَّائلين ، ص٩ .

(٣) عيون الأثر ، جـ٢ ص٢٦٣ .

(٤) السِّيرة النبويَّة والآثار المحمديَّة ، جـ٢ ص٦٥ .

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد ، جـ١ ص٢٦٠ .

(٦) وفي بعض الروايات (باذام) . البداية والنهاية ، جـ٤ ص٢٦٩ ، وابن سعد ، جـ١ ص٢٦٠ ، والسِّيرة النبوية لابن كثير، جـ٣ ص٥٠٨ .

(٧) جَلِدين : قويين ذَوَيْ عزيمة .

(٨) وعند ابن كثير اسمها : خرخره وأباذويه .

وقريش بها وفرحوا، وقال بعضهم لبعض: أبشروا فقد نَصب له كسرى ملكُ الملوك، كُفِيتم الرجل.

فخرجا حتى قَدِما على رسول الله ﷺ، فكلَّمه بابويه فقال: شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملك باذان، يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك، وقد بعثني إليك لتنطلق معي، فإن فعلتَ كتب لك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفُّه عنك، وإن أبيتَ فهو مَنْ قد علمتَ، فهو مُهْلكك، ومهلك قومك، ومخرِّب بلادك.

ودخلا على رسول الله ﷺ، وقد حلقا لحاهما، وأعفيا شواربهما، فكره النظرَ إليهما، وقال ﷺ: «ويلكما من أمركما بهذا ؟!»، قالا: أمرنا ربُّنا - يعنيان كسرى -، فقال ﷺ: «ولكن ربّي أمرني بإعفاء لحيتي وقصِّ شاربي»، ثم قال: «ارجعا حتى تأتياني غداً».

وأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السَّماء بأن الله قد سلَّط على كسرى ابنَه شيرويه فقتله[1]. فدعاهما فأخبرهما، فقالا: هل تدري ما تقول ؟ إنَّا قد نقمنا عليك ما هو أَيْسَرُ من هذا، فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك باذان ؟ قال ﷺ: «نعم أخبراه ذاك عني، وقولا له: إن ديني وسلطاني

---

(١) قتل كسرى على يدي ابنه شيرويه ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الآخرة من سنة سبع من الهجرة. ومما قاله ﷺ لرسولي باذان: «إن ربي قد قتل الليلة ربَّك»، «أخبروه أن ربي قد قتل ربَّه الليلة». السِّيرة النبويَّة لابن كثير، جـ٣ ص٥١١.

سيبلغ ما بلغ كسرى وينتهي إلى الخُفّ والحافر، وقولا له: إن أَسلمتَ أعطيتك ما تحت يديك وملّكتك على قومك من الأبناء». ثم أعطى خرخسرة مِنْطَقةً فيها ذهب وفضّة كان أهداها إليه بعضُ الملوك، وخرجا من عنده حتى قدما على باذان فأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا بكلام مَلِك، وإني لأرى الرجل نبيّاً كما يقول، وليكوننَّ ما قد قال، فلئن كان هذا حقاً فهو نبي مرسَل، وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا.

فلم ينشب باذان أن قدِم عليه كتابُ شيرويه: أما بعد، فإني قد قتلتُ كسرى، ولم أَقتله إلاّ غضباً لفارس لما كان استحلَّ من قتل أشرافهم وغيرهم في ثغورهم، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وانطلق إلى الرجل الذي كان كسرى قد كتب فيه فلا تَهِجْهُ حتى يأتيك أمري فيه.

فلما انتهى كتابُ شيرويه إلى باذان قال: إن هذا الرجل لَرسول، فأسلم وأسلمت الأبناءُ من فارس من كان منهم باليمن. وقال بابويه لباذان: ما كلَّمت أحداً أهيبَ عندي منه ـ من رسول الله ﷺ ـ فقال له باذان: هل معه شُرَطٌ؟ قال: لا[1].

---

(١) راجع لخبر باذان: ابن سعد في طبقاته، جـ١ ص٢٦٠، البداية والنهاية، جـ٤ ص٢٦٩، عيون الأثر، جـ٢ ص٢٦٣، الطبري، جـ٢ ص٦٥٥، الكامل في التاريخ، جـ٢ ص١٤٥، ابن خلدون، جـ٢ ص٣٨، السّيرة النبوية لابن كثير، جـ٣ ص٥٠٩، السّيرة الحلبيَّة، جـ٣ ص٢٧٨، السّيرة النبويّة والآثار المحمديَّة، جـ٢ ص٦٥.

والعجيب الغريب أن داڤيد صموئيل مرجليوث يعترف بقصَّة إسلام باذان عامل كسرى على اليمن ، دون ذكر الدافع والعامل الرئيس الذي سبب إسلامه وإسلام أبناء الفرس في اليمن !!

قَبِلَ داڤيد صموئيل مرجليوث القصَّة ـ كرماً منه وفضلاً ومِنَّة ـ وقال : إن العيون ـ الجواسيس ـ أنبأت النبي بالقصة . فكيف يقبلها لتواترها وثبوتها ، ولا يقبل سببها ؟ ولا يضع سبباً لإرسال الرجلين الجَلِدين ولرسالة شيرويه ولإسلام باذان ومن معه من أبناء الفرس في اليمن ؟!!

هذا .. وقول مرجليوث : « إن عيون الرسول كانت تأتيه بالأخبار بسرعة » ، واستبعد عدول رسولي باذان عن تأدية واجبهما إثر نبوءة النبي بموت كسرى ، وقال : « وإذا كان تاريخ اغتيال كسرى فارس صحيحاً ، فإن كل ما يمكن أن نفرضه هو أن هذا الاضطراب الذي انتشر على أثر مقتل كسرى كان السبب في نقل عيون الرسول نبأ هذا الاغتيال إليه »[1] . كل هذا وقد فاته أن يذكر اسماً واحداً فقط من العيون الموظَّفة عند محمد بن عبد الله لتأتيه بالأخبار ، وفاته أن الاضطراب الذي انتشر وكان سبباً في نقل عيون الرسول نبأ هذا الاغتيال إليه لم يكن في حيّ ضيّق ، الاضطراب لم يكن في قرية ، ولم يكن في مدينة قريبة ، إنه كان

---

(١) Margoliouth: Mohammed and the Rise of Islam, p.368.

على بُعْدِ ألف ميل أو يزيد، وأخبر به رسول الله ﷺ بعد لحظات من وقوعه ؟!؟

أعلن ﷺ موت كسرى يوم اغتياله بالذات، برغم ما بين الحجاز وفارس من البعد، وخبر موت كسرى لم يصل إلى بلاد اليمن إلا بعد تنبؤ الرسول الكريم بمقتله وعودة رسولي باذان إليه، ثم انتظاره وصول الأخبار الرسمية من بلاد فارس. كل ذلك يجعلنا نكرر قول الزركلي صاحب (الأعلام) بحقٍّ داقيد صموئيل مرجليوث: «لم يكن مخلصاً للعلم، على الرغم من توسُّعه في معرفة المسلمين وأدبهم».

٤ ـ كتاب رسول الله ﷺ إلى قيصر «هِرَقْل Heraclius»:

☆ أَبُو سُفْيَان بِغَزَّة:

قال عبد الله بن عباس: حدثني أبو سفيان من فِيه إلى فِيَّ قال: كنا قوماً تجاراً، وكانت الحرب قد حضرتنا حتى نَهكت أموالنا، فلما كانت الهدنة[1] بيننا وبين رسول الله ﷺ، لم نأمن إن وجدنا أمناً، فخرجت تاجراً إلى الشام مع رهط من قريش، فوالله ما علمت بمكة امرأة ولا رجلاً إلا وقد حمَّلني بضاعة، وكان وجه مَتْجرنا من الشام غَزَّة من أرض فلسطين.

---

(١) يعني هدنة الحديبية.

فخرجنا حتى قدمناها، وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم على من كان في بلاده من الفرس فأخرجهم منها، ورُدَّ عليه صليبه الأعظم وقد كان استلبوه إياه، فلما أن بلغه ذلك وقد كان منزله بحمص من الشام، فخرج منها يمشي متشكِّراً إلى بيت المقدس ليصلي فيه، تُبْسَطُ له البسط ويطرح عليها الرياحين، حتى انتهى إلى إيلياء[1] فصلى بها.

فأصبح ذات غداة وهو مهموم يقلِّب طرفه إلى السَّماء[2]، فقالت له بطارقته: أيها الملك لقد أصبحت مهموماً؟ فقال: أجل، فقالوا: وما ذاك؟ فقال: أُرِيت في هذه الليلة أن ملك الخِتَان ظاهر، فقالوا: والله ما نعلم أُمَّةً من الأمم تختتن إلا اليهود، وهم تحت يديك وفي سلطانك، فإن كان قد وقع ذلك في نفسك منهم، فابعث في مملكتك

---

(١) إيلياء هي القدس، ومعناها بيت الله.

(٢) كانت الحروب بين الروم والفرس قائمة، ففي سنة ٦٢١م انتصر الفرس واستولوا على الشام ومصر وآسية الصغرى، وذلك قبل الهجرة بسنة واحدة، وفي سنة ٦٢٢م طارد هرقلُ الفرسَ إلى قلب بلادهم، ثم هدد الفرس القسطنطينية ذاتها، ولكن في ٦٢٦م وقرب نينوى هزم هرقلُ الفرسَ، وفر كسرى إلى عاصمة ملكه المدائن (طيسفون). وبعد أن قتل شيرويه أباه أبرويز واستولى على العرش، عقد معاهدة صلح مع هرقل، على أن تبقى حدود الدولتين على ما كانت عليه من قبل، مع خضوع اليمن والعراق لنفوذ الفرس، وخضوع الشام ومصر لنفوذ الروم، وكان هوى المشركين في الحجاز مع الفرس لأنهم عبدة أوثان، وهوى المسلمين مع الروم لأنهم أهل كتاب. وفي هذه الأثناء، وفي هذه الأحداث، كان صلح الحديبية، ورسائل رسول الله ﷺ إلى الملوك والأمراء.
كان هرقل حَزاءً ينظر في النجوم، (السيرة النبوية لابن كثير، جـ٣ ص٥٠١).

كلها ، فلا يبقى يهودي إلا ضربتَ عنقه ، فتستريح من هذا الهمّ .

فإنهم في ذلك مِنْ رأيهم يديرونه بينهم ، إذ أتاهم رسول صاحب بُصْرى برجل من العرب قد وقع إليهم ، فقال : أيها الملك ، إن هذا الرجل من العرب ، من أهل الشَّاء والإبل يحدثك عن حدث كان ببلاده ، فاسأله عنه ، فلما انتهى إليه قال لترجمانه : سَلْه ما هذا الخبر الذي كان في بلاده ؟ فسأله فقال : هو رجل من العرب من قريش ، خرج يزعم أنه نبي ، وقد اتبعه أقوام وخالفه آخرون ، وقد كان بينهم ملاحم في مواطن ، فخرجتُ من بلادي وهم على ذلك .

فلما أخبره الخبر قال : جَرِّدوه ، فإذا هو مختتن ، فقال : هذا والله الذي قد أُريت لا ما تقولون ، أعطه ثوبه ، انطلق لشأنك .

ثم إنه دعا صاحب شُرَطته ، فقال له : قلِّب لي الشام ظهراً لبطن حتى تأتي برجل من قوم هذا ، أسأله عن شأنه .

قال أبو سفيان : فوالله إني وأصحابي لَبغَزَّة ، إذ هجم علينا فسألنا : مَّن أنتم ؟ فأخبرناه ، فساقنا إليه جميعاً ، فلما انتهينا إليه قال أبو سفيان : فوالله ما رأيت من رجل قط زعم أَنَّه كان أدْهَى من ذلك الأَغْلَف ـ يريد هرقل ـ .

قال : فلما انتهينا إليه قال : أيُّكم أمسُّ به رَحِماً ؟ فقلت : أنا ، قال : أدنوه منّي ، قال : فأجلسني بين يديه ، ثم أَمر أصحابي فأجلسهم خلفي

وقال : إن كذب فردُّوا عليه ، قال أبو سفيان : فلقد عرفت أني لو كذبت ماردُّوا عليَّ ، ولكني كنت امرءاً سيداً أتكرَّم وأستحي من الكذب ، وعرفت أن أدنى ما يكون في ذلك أن يُرْووه عني ، ثم يتحدثوا به عني بمكة ، فلم أكْذِبه .

فقال قيصر[1] : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج فيكم ، فزهَّدت له شأنه ، وصغَّرت له أمره (هو ساحر كذَّاب) ، فقال قيصر : إني لاأُريد شتمه ، وقال أبو سفيان : فوالله ما التفت إلى ذلك مني ، وقال لي : أخبرني عما أسألك عنه من أمره ، فقلت : سلني عما بَدَا لك .

فقال : كيف نسبه فيكم ؟

أبو سفيان : مَحْضاً من أَوْسطنا نسباً ، هو فينا ذو نسب ، هو والله من بيت قريش .

قيصر : فأخبرني ، هل كان من أهل بيته أحدٌ يقول مثلَ قوله فهو يتشبَّه به ؟

أبو سفيان : لا .

قيصر : فأخبرني هل له مُلْك ، فاستلبتموه إياه ، فجاء بهذا الحديث لتردُّوه عليه ؟

---

(١) وقيصر معناه البَقِير، لأنه بُقِرَ- أي شق عنه- لأن أم قيصر ماتت في المخاض، فشق عنه وأُخرج فسمي قيصر، وكان يفتخر بذلك ويقول: لم أخرج من فرج، ثم صار قيصر اسماً لكل من ملك الروم. وحوار أبي سفيان مع القيصر هرقل، (السِّيرة الحلبيَّة، جـ٣ ص٢٧٢).

أبو سفيان : لا .

قيصر : فأخبرني عن أتباعه ، من هم ؟

أبو سفيان : الأحداثُ والضعفاء والمساكين ، فأما أشرافهم[1] وذوو الأنساب منهم فلا .

قيصر : فأخبرني عمَّن صحبه ، أيحبُّه ويكرمه ، أمْ يَقْلِيه[2] ويفارقه ؟

أبو سفيان : ما صحبه رجلٌ ففارقه .

قيصر : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

أبو سفيان : لا .

قيصر : فأخبرني عن الحرب بينكم وبينه ؟

أبو سفيان : سِجَال[3] يُدَال علينا ويُدَال عليه[4] .

قيصر : فأخبرني هل يغدر ؟

أبو سفيان : (قلت في نفسي) : فلم أجد شيئاً أغرُّه به إلاّ هي ،

---

(١) المراد بأشراف الناس أهل النخوة والتكبُّر ، فلا يُرَد مثل أبي بكر وعمر وحمزة ممن أسلم قبل هذا السُّؤال ، فإنهم من ذوي الأنساب الكريمة ، لكنهم ليسوا من أهل التكبُّر فجعلهم من الضعفاء بهذا الاعتبار ، والأصح : وهو محمول على الأكثر الأغلب ، أي الأكثر والأغلب أن أتباعه الضعفاء ، السِّيرة النبويَّة والآثار المحمَّدية ، جـ٢ ص٥٩ .

(٢) القِلَى : البُغْض ، لسان العرب ، جـ١٥ ص١٩٨ .

(٣) الحرب سجال : أي سَجْلٌ منها على هؤلاء وآخر على هؤلاء ، لسان العرب ، جـ١١ ص٣٢٥ .

(٤) نُدَال عليه ويُدَال علينا : أي نغلبه مرَّة ويغلبنا أُخرى ، لسان العرب ، جـ١١ ص٢٥٢ .

قلت : لا ، إلا أن يغدر مدته هذه .
قيصر : وما تخاف من مدته هذه ؟
أبو سفيان : إن قومي أمدُّوا حلفاءهم على حلفائه وهو بالمدينة .
قيصر : إن كنتم أنتم بدأتم فأنتم أَغدَر.
قيصر : ماذا يأمركم ؟
أبو سفيان : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصِّدق والعفاف والصِّلة .

قال أبو سفيان : فأعاد عليَّ الحديث ، قال : زعمت أنه من أمحضكم نسباً ، وكذلك يأخذ الله النبي ، لا يأخذه إلاَّ من أوسط قومه . وسألتك : هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبَّه به ؟ فقلت : لا ، وسألتك : هل كان له من مُلْك فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردُّوا عليه ملكه ؟ فقلت : لا . وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال ؟ فذكرت أن لا ، فقد عرفت أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله . وسألتك عمَّن يتبعه أيحبه ويكرمه أَمْ يَقْليه ويفارقه ؟ فزعمتَ أنه قَلَّ من يصحبه فيفارقه ، وكذلك حلاوة الإيمان لاتدخل قلباً فتخرج منه . وسألتك كيف الحرب بينكم وبينه ؟ فزعمتَ أنها سِجَال يُدَال عليكم وتدالون عليه ، وكذلك يكون حرب الأنبياء ولهم تكون العاقبة ، وسألتك هل يغدر فزعمت أنه لا يغدر، وسألتك بم يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا

الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف. فلئن كنت صدقتني ليغلبنَّ على ما تحت قدميَّ هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلو أعلم أني أخلص إليه لتجشَّمْتُ لقاءه، ولو كنت عنده لغسلتُ عن قدميه[1].

ثم قال: الحق بشأنك.

قال أبو سفيان: فقمت وأنا أضرب إحدى يديّ على الأُخرى وأقول: يا عباد الله لقد أَمِرَ أمرُ ابن أبي كبشة[2]، وأصبح ملوك بني الأَصْفَرَ[3] يخافونه في سلطانهم.



حامل الكتاب دحية الكلبي:

دحية[4] بن خليفة بن فَرْوة بن فَضَالة بن زيد بن امرئ القَيْس بن

---

(١) راجع إعلام السّائلين، ص: ١٠، السّيرة النبويَّة لابن كثير، جـ٣ ص ٤٩٥، ابن خلدون، جـ٢ ص ٣٦، البداية والنهاية، جـ٤ ص ٢٦٢، الكامل في التاريخ، جـ٢ ص ١٤٣، السِّيرة الحلبيَّة، جـ٣ ص ٢٧٢، السِّيرة النبويّة والآثار المحمديَّة، جـ٢ ص ٥٨.

(٢) يعني رسول الله ﷺ، وكان يكنيه كفار قريش بأبيه من الرضاع، وأبو كبشة هو زوج حليمة السَّعدية التي أرضعته ﷺ.

(٣) قيل للروم بنو الأصفر لأنَّهم ولد روم بن العيص بن إسحق نبي الله عليه السلام، وكان يُسمَّى الأصفر لصفرة به، وقيل الصُّفْرة كانت بأبيه العيص، (السِّيرة الحلبيَّة، جـ٣ ص ١٥٠).

(٤) دِحْيَة (في أُسْد الغابة)، ودَحْيَة (في طبقات ابن سعد)، بلسان أهل اليمن: الرئيس.

الخَزْج بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عُذْرَة بن زيد اللاَّت بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبي[(١)] .

صاحب رسول الله ﷺ ، شهد أُحُداً وما بعدها ، وكان جبريلُ يأتي رسولَ الله ﷺ في صورته أحياناً .

قال ﷺ : « مَنْ ينطلق بكتابي هذا فيسير إلى هرقل وله الجنة ؟ » . فأخذ الكتاب ـ رضي الله عنه ـ إلى قيصر سنة ست في هدنة الحديبية .



الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله[(٢)] إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى[(٣)] ، أمَّا بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام[(٤)] ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرَّتين ، فإن توليت فإنَّ عليك إثم الأريسيين[(٥)] ، و﴿ يَاأَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا

---

(١) أسد الغابة ، جـ ٢ ص ١٥٨ .

(٢) في إعلام السّائلين : ص ١٢ : « من محمد عبد الله ورسوله » .

(٣) « أي : ومن لم يتّبع الهدى فلا سلام عليه » ، السِّيرة الحلبيَّة ، جـ ٣ ص ٢٧٥ .

(٤) أي بالكلمة الداعية للإسلام ، وهي كلمة التوحيد ، أدعوك إليها .

(٥) الأريسيون : الأكَّارون ، والأكَّار هو الفلاح ، والمراد : إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون لأمرك ، وخصَّ هؤلاء بالذكر لأنهم أسرع انقياداً من غيرهم ، أو لأنهم أكثر السكان عدداً . فإثم هؤلاء عليك ، لأنَّه إذا أسلم أسلموا ، وإذا امتنع امتنعوا .

وَبَيْنكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإنْ تَوَلَّوا فَقُولُوا اشْهَدُوا بَأَنَّا مُسْلِمُون ﴾[١] » .

أخـذ هرقل الكتـاب وجعلـه بين فخـذه وخـاصرتـه ، ثم كتب إلى رجل من أهل رومية عالم بالكتب المقدَّسة ليخبره عما جاء بها عن نبي آخر الزمان ، فكتب إليه : إنَّه النبي الـذي يُنْتَظر لاشـك فيـه فـاتبعـه . فـأمر هرقـل عظماء الروم فجُمِعـوا لـه في دَسْكَرةِ[٢] مُلْكــه ، ثم أمر بهــا فـأغلقت عليهم ، واطلع عليهم من عَلِّيـة لـه وهو منهم خـائف ، فقـال : يامعشر الروم ، إنه قد جاءني كتاب أحمـد ، وإنـه والله النبي الـذي كنـا ننتظر ، ومُجْمل ذكره في كتـابنـا ، نعرفـه بعلامتـه وزمـانـه ، فـأَسْلِمُوا واتبعوه تَسْلم لكم دنيـاكم وآخرتكم ، فنخروا نخرةَ رجلٍ واحـد ، وابتـدروا أبواب الدسكرة فوجـدوهـا مغلقـة دونهم . فخـافهم وقـال : ردُّوهم عليَّ ، فردُّوهم عليه فقـال لهم : يـا معشر الروم ، إني إنمـا قلت لكم هـذه المقـالـة أختبركم بهـا لأنظر كيف صلابتكم في دينكم ! فلقـد رأيت منكم مـاسرَّني ، فوقعوا له سجَّدا ، ثم فتحت لهم أبواب الدِّسْكَرة فخرجوا .

وقال هرقل لدحية : والله إني لأعلم أن صاحبـك نبيٌّ مُرْسَل ، وإنـه الذي كنا ننتظر ، ونجـده في كتـابنـا ، ولكني أخـاف الروم على نفسي ، ولولا ذلك لاتَّبعته .

---

(١) [آل عمران : ٦٤] .

(٢) الدِّسْكَرة : بناء كالقصر حول بيوت .

وفي رواية : أمر هرقل بالأسقف الأكبر فدخل عليه ، وكان صاحب أمرهم يصدرون عن قوله وعن رأيه ، فلما قرأ الكتاب ، قال الأسقف : هو والله الذي بشَّرنا به موسى وعيسى ، الذي كنا ننتظر[1] ، قال هرقل : فما تأمرني ؟ قال الأُسقف : أما أنا فإني مصدِّقه ومُتْبعه ، فقال قيصر : أعرف أنَّه كذلك ، ولكن لا أستطيع أن أفعل ، وإن فعلت ذهبَ مُلكي ، وقتلني الروم .

قال الإمام النووي : « ولا عذر له في هذا لأنَّه قد عرف صدق النبي ﷺ ، وإنَّما شحَّ بالمُلْك وطلب الرياسة » .

وقال الحافظ ابن حجر : « لو تفطَّن هرقل لقوله ﷺ في الكتاب أسلم تسلم ، وحمل الجزاء على عمومه في الدنيا والآخرة وأَسْلَمَ لَسَلِمَ من كل ما يخافه ، ولكن التوفيق بيد الله »[2] .

---

(١) جاء في السِّيرة النبويَّة لابن كثير ، جـ ٣ ص ٥٠٤ « قال هرقل لدحية : اذهب إلى صغاطر الأُسقف فاذكر له أمر صاحبكم ، فهو والله في الروم أعظم مني وأَجْوَزُ قولاً عندهم مني ، فانظر ماذا يقول لك ؟ فجاءه دحية فأخبره بما جاء به من رسول الله ﷺ إلى هرقل وبما يدعو إليه ، فقال صغاطر : صاحبك والله نبيٌّ مرسل نعرفه بصفته ، ونجده في كتابنا باسمه ، ثم دخل وألقى ثياباً كانت عليه سوداً ولبس بياضاً ثم أخذ عصاه ، فخرج على الروم في الكنيسة فقال : يامعشر الروم إنه قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا فيه إلى الله ، وإني أشهد أن لاإله إلا الله وأنَّ أحمد عبده ورسوله ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فضربوه حتى قتلوه ، فرجع دحية إلى هرقل فأخبره ، فقال : قد قلت لك إنا نخافهم على أنفسنا ، فصغاطر والله كان أعظم عندهم وأَجْوَز قولاً مني » .

(٢) السِّيرة الحلبيَّة ، جـ ٣ ص ٢٧٤ ، السِّيرة النبويَّة والآثار المحمديَّة ، جـ ٢ ص ٦١ .

وســار هرقــل إلى حمص ، ولمــا أراد الخروج من أرض الشــام إلى القسطنطينيـة ، جمـع الروم فقـال : يـا معشر الروم ، إني عــارضٌ عليكم أُموراً فانظروا فيما أردت بها ، قالوا : ما هي ؟

قال : تعلمون والله أن هذا الرجل لَنَبيٌّ مُرْسَل ، نجده نعرفه بصفته التي وُصفَ لنا ، فهلم فلنتبعه فتَسْلم لنا دنيانا وآخرتنا .

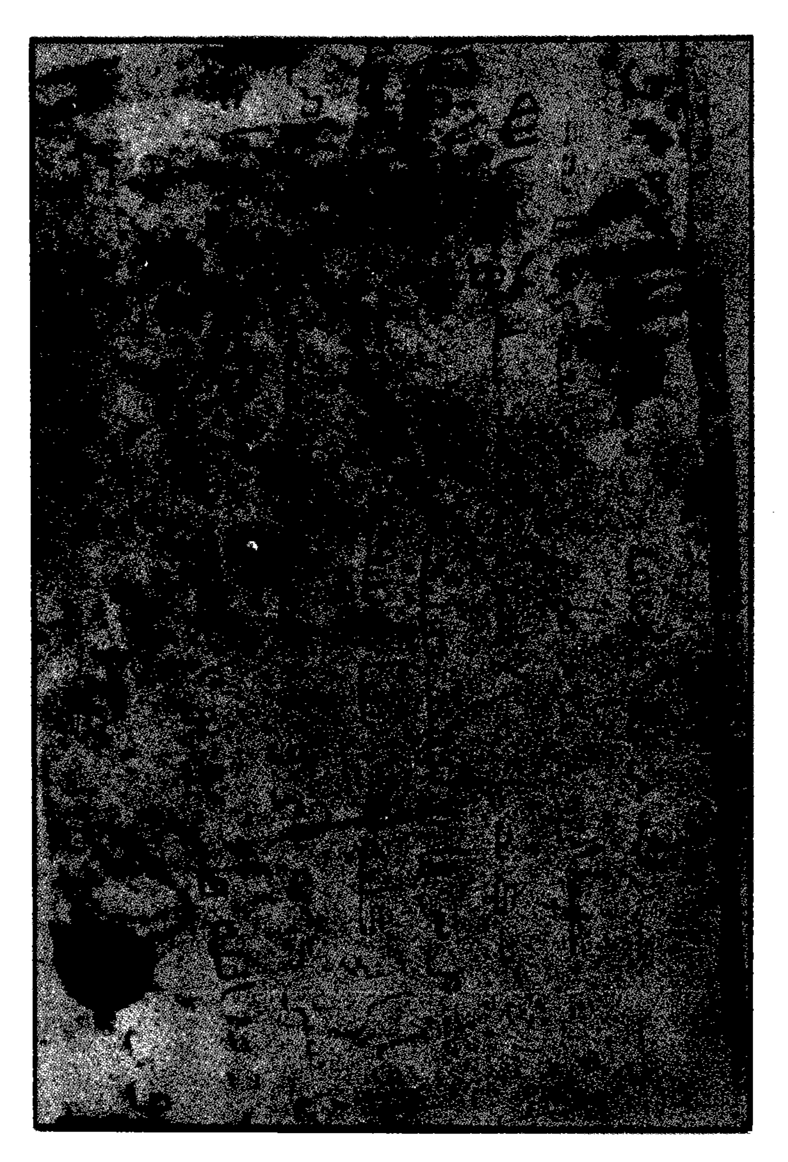
فقـالوا : نحن نكون تحت أيـدي العرب ونحن أعظم النـاس مُلْكاً ، وأكثره رجالاً وأقصاه بلداً !

قال : فهلم أُعطِهِ الجزية كلَّ سنة ، أكسر عني شوكتـه وأستريح من حربه بما أُعطيه إياه ، فقالوا : نحن نُعْطي العرب الـذل والصَّغـار بِخَرْج يأخذونه منا ، ونحن أكثر الناس عـدداً ، وأعظمـه ملكاً ، وأَمْنَعَـه بلـداً ! لا والله لا نغفل هذا أبداً .

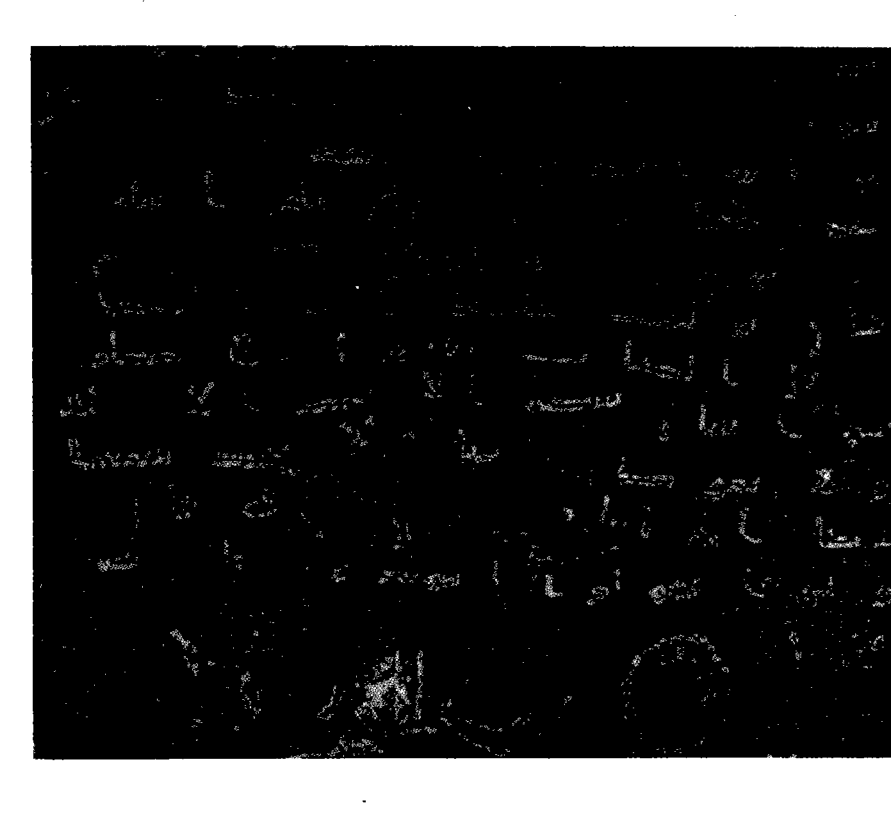
قال : فهلم فلأُصالحه على أن أُعطيه أرضَ سوريـة ويـدعني وأرضَ الشـام[1] . فقـالـوا : نحن نعطيـه أرضَ سـوريـة ، وقـد عرفت أنهـا سُرَّة الشام ، لا نفعل هذا أبداً .

قال أبوا عليه فقال : أما والله لَتَرون أنكم قد ظفرتم إذا امتنعتم منـه

(١) وكانت أرض سـوريـة : فلسطين والأردن ودمشـق وحمص ، ومـا دون الـدَّرب من أرض سـوريـة ، ومـا كان وراء الـدَّرب عنـدهم فهـو الشـام ، « السِّيرة النبـويَّـة لابن كثير ، جـ ٣ ص ٥٠٦ .



صورة رسالة رسول الله ﷺ إلى هرقل



كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس

في مدينتكم ، ثم جلس على بغل له فانطلق ، حتى إذا أشرف على الدرب استقبل أرض الشام ثم قال : السَّلام عليك ياأرض سورية تسليم الوداع ، ثم سار حتى دخل إلى القسطنطينية .

☆ ☆ ☆

٥ـ كتاب رسول الله ﷺ إلى المقوقس :

عند منصرف رسول الله ﷺ من الحديبية قال : « أيُّها الناس ، أيُّكم ينطلق بكتابي هذا إلى صاحب مصر وأجره على الله ؟ فوثب إليه حاطب بن أبي بلتعة وقال : أنا يارسول الله ، فقال ﷺ : بارك الله فيك ياحاطب »[(١)] .

حَاطِبُ بنُ أَبِي بَلْتَعَة : واسم أبي بلتعة : عمرو بن عمير بن سلمة من بني خالفة بطن من لخم ، شهد الله تعالى له بالإيمان في قوله عز وجل : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لاتَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾[(٢)] ، وسببه كتابه الذي كتبه إلى مشركي مكَّة قبل الفتح يعلمهم بما يريده رسول الله ﷺ من غزوهم ، فأعلم الله رسولَهُ بذلك ،

---

(١) السِّيرة الحلبيَّة ، جـ ٣ ص ٢٨٠ ، السِّيرة النبويَّة الآثار المحمديَّة ، جـ ٢ ص ٦٩ ، وفيها « رافق حاطب جبرا ـ أو جُبيرا ـ مولى أبي رهم الغفاري » .

(٢) [الممتحنة : ١] .

فأرسل عَلِّياً والزبير، فأتيا به[1] .

توفي حـاطب سنـة ثـلاثين ، وصلى عليـه عثمان ، وكان عمره خمسـاً وستين سنة[2] .

قَدِمَ حاطب الاسكندريـة ، وسـأَل عن المقوقس[3] ، فـأُخبر أَنَّـه في مجلس مشرف على البحر، فركب حـاطب سفينتـه ، وحـاذى مجلسـه وأشار بالكتاب إليه ، فلما رآه أَمر بإحضاره بين يديه[4] .

الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمـد رسول الله[5] إلى المقـوقس عظيم القبـط ، سلام على من اتبـع الهـدى ، أَمَّـا بعـد فـإنِّي أدعـوك بـدعـايـة الإسلام ، أَسلم تسلم ، وأسلم يؤتـك الله أجرك مرَّتين ، فـإن تـولَّيت فـإن عليك إثم القبط ، ﴿ يَاأَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَـا وَبَيْنَكُم

---

(١) سيمر تفصيل الحادثة ـ إن شاء الله ـ في الجزء الخاص بفتح مكة من هذه السلسلة .

(٢) أُسْدَ الغـابـة ، جـ ١ ص ٤٣١ ، روى عن رسـول الله ﷺ « من اغتسـل يـوم الجمعـة ، ولبس أحسن ثيابه ، وبكَّر ودنا ، كانت كفارة إلى الجمعة الأُخرى » .

(٣) واسمـه جريـج بن مينـا القبطي ، وتعني المقـوقس : المطـول للبنـاء ، واسم المقـوقس بـاللغـة القبطية : Pka chios .

(٤) السِّيرة النبويَّة والآثار المحمديَّة ، جـ ٢ ص ٧٠ .

(٥) في إعلام السَّائلين ، ص ١٩ : « من محمَّد عبد الله إلى المقوقس .. » .

أَلاَّ نَعْبُدَ إلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُون ﴾[1] » .

وقال حاطب للمقوقس : إنَّه كان قبلك رجل يزعم أنَّه الربُّ الأعلى - يعني فرعون - فأخذه الله نكال الآخرة والأُولى ، فانتقم به ثم انتقم منه ، فاعتبر بغيرك ، ولا يعتبر بك غيرك[2] .

المقوقس : هاتِ !

حاطب : إن لنا ديناً لن ندعه إلاّ لما خير منه ، وهو الإسلام الكافي به الله فعل ماسواه ، إنّ هذا النبي محمّداً ﷺ دعا الناس فكان أشدُهم عليه قريش ، وأعداهم له يهود ، أقربهم منه النصارى ، ولعمري مابشارة موسى بعيسى إلاّ كبشارة عيسى بمحمد ﷺ ، وما دعاؤنا إياكَ إلى القرآن إلاّ كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل ، وكل نبيّ أدرك قوماً فهو من أُمّته ، فالحقُّ عليهم أن يطيعوه ، فأنت مِمّن أدركه هذا النبي ، ولسنا ننهاكَ عن دين المسيح ، ولكنا نأمرك به[3] .

المقوقس : أليس صاحبك - يعني رسول الله ﷺ - نبيّاً ؟

---

(١) [آل عمران : ٦٤] .

(٢) إعلام السّائلين ، ص ١٩ .

(٣) إعلام السّائلين ، ص ٢٠ ، عيون الأثر ، جـ ٢ ص ٢٦٥ .

حاطب : بلى ، هو رسول الله .

المقوقس : فما له لم يَدْعُ على قومه حيث أخرجوه من بلدته ؟

حاطب : فعيسى بن مريم ، أتشهد أنه رسول الله ؟ فما له حيث أراد قومه صلبه لم يَدْعُ عليهم حتى رفعه الله ؟

المقوقس : أحسنت ، أنت حكيم جاء من عند حكيم[1] .

وقال المقوقس أيضاً : إنِّي قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ، ولا ينهى عن مرغوب عنه ، ولم أجده بالسَّاحر الضَّال ، ولا الكاهن الكاذب ، ووجدت معه آية النبوَّة ، بإخراج الخبأ ، والإخبار بالنجوى ، وسأنظر[2] . وأخذ كتاب النبي ﷺ فجعله في حُقٍّ

---

(١) أُسد الغابة ، جـ ١ ، ص ٤٣٢ ، السِّيرة الحلبيَّة ، جـ ٣ ص ٢٨١ ، السِّيرة النبويَّة لابن كثير ، جـ ٣ ص ٥١٤ .

(٢) إن فكرة مسبقة موجودة عند المقوقس ، لقد وفد عليه المغيرة بن شعبة ومعه وفد من ثقيف ، وكان ذلك قبل إسلام المغيرة . فلما دخلوا على المقوقس قال : ما صنعتم فيما دعاكم إليه محمداً ؟ قالوا : ما تبعه منا رجل واحد ، قال : كيف صنع قومه ؟ قالوا : اتبعه أحداثهم وقد لاقاه من خالفه في مواطن كثيرة ، قال : فإلى ماذا يدعو ؟ قالوا : إلى أن نعبد الله وحده ، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا ، ويدعو إلى الصلاة والزكاة وصلة الرحم ووفاء العهد وتحريم الزنا والربا والخمر ، فقال : هذا نبي مرسل إلى الناس كافة ، ولو أصاب القبط والروم لاتبعوه ، وقد أمرهم بذلك عيسى ، وهذا الذي تصنعون منه نعت الأنبياء من قبله ، وستكون له العاقبة حتى لا ينازعه أحد ، ويظهر دينه إلى منتهى الخف والحافر . فقالت ثقيف : لو دخل الناس كلهم معه ما دخلنا معه ، فهزَّ المقوقس رأسه ، وقال : أنتم في اللعب ، وقال : ما فعلت يهود يثرب ؟ قالوا : خالفوه فأوقع بهم ، فقال : هم حسد ، أما إنهم يعرفون من أمره مثل ما نعرف . (السِّيرة النبويَّة والآثار المحمديَّة ، جـ ٢ ص ٧١) .

من عاج[1] ، وختم عليه ودفعه إلى جارية له ، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربيَّة ، فكتب إلى النبي ﷺ : « بسم الله الرحمن الرحيم ، لمحمَّد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط ، سلام عليك ، أما بعد فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبياً بقي ، وقد كنت أظن أنَّه يخرج بالشَّام ، وقد أكرمت رسولك[2] ، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم ، وكسوة ، وأهديت إليك بغلة لتركبها ، والسَّلام عليك » .

ولمَّا ختم الكتاب دفعه إلى حاطب ، وأمر له بمئة دينار ، وخمسة أثواب ، وقال له : ارجع إلى صاحبك ولا تسمع منك القبط حرفاً واحداً ، قد كنت أعلم أنَّ نبيّاً قد بقي ، وكنت أظنُّ أنَّ مخرجه من الشَّام ، وهناك كانت تخرج الأنبياء قبله ، فأراه قد خرج في أرض العرب ، في أرض جهد وبؤس ، والقبط لا تطاوعني على اتباعه ، وأنا أضن بملكي أن أُفارقه ، وسيظهر صاحبك على البلاد ، وينزل بساحته هذه أصحابه بعده ، فارحل من عندي[3] ، وأُرسل معك ببذَرقة[4] يُبَذْرقونك إلى مَأْمنك .

---

(١) الرسالة محفوظة اليوم في اسطنبول ، في متحف توب كابي .

(٢) دفع له مئة دينار وخمسة أثواب .

(٣) إعلام السَّائلين ، ص ٢٠ و ٢١ .

(٤) البَذْرَقَةُ : الخَفَارة ، فارسي معرَّب ، قال المتنبي : أُبَذْرَقُ ومعي سيفي ، وقاتل حتى قتل . لسان العرب ، جـ ١٠ ص ١٤ .

قال حاطب : فرحلت من عنده ولم أُقم عنده إلاَّ خمسة أيَّام ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ ، ذكرت له ما قال لي ، فقال : « ضن بملكه ولا بقاء لملكه » .

وتزوج رسول الله ﷺ مارية القبطية ، وهي أُم ولده إبراهيم . وتزوج حسَّان بن ثابت شيرين .

أما بقية هدية المقوقس فهي : البغلة دُلْدُل التي بقيت إلى زمن معاوية بن أبي سفيان ، وكانت شهباء .

وأرسل عسلاً من عسل بِنْهَا[1] ، مع طيب ، وعشرين ثوباً من قباطي مصر ، وقدح من قوارير ، وكان ﷺ يشرب فيه ، وأرسل أيضاً طبيباً ، قال له ﷺ : « ارجع إلى أهلك ، نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع » . ولم يزد على هذا ، ولم يسلم[2] .



---

(١) بِنْهَا : من قرى مصر ، يسمُّونها اليومَ بَنْها ، وهي على شُعبة من النيل ، وأكثر عسل مصر الموصوف بالجودة مجلوب منها ومن كورتها . (معجم البلدان ، جـ١ ص٥٠١) .

(٢) إعلام السَّائلين ، ص ٢١ ، طبقات ابن سعد ، جـ١ ص٢٦٠ .

٦ـ كتاب رسول الله ﷺ إلى جَيْفَرَ وعَبْدٍ ابنَي الجُلَنْدَى مَلِكَيْ عُمَان :

☆ **حامل الكتاب :** عمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن سُعَيد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤي بن غالب القُرَشي السَّهمي ، أرسلته قريش إلى النجاشي ليسلم إليهم مَنْ عنده مِنَ المسلمين ، جعفر بن أبي طالب ومن معه فلم يفعل ، وقال له : يا عمرو ، وكيف يعزبُ عنك أمر ابن عمِّك ؟ فوالله إنَّه لرسول الله حقّاً ، قال عمرو : أنت تقول ذلك ؟! قال : إي والله ، فأطعني . فخرج من عنده مهاجراً إلى رسول الله ﷺ عام خيبر. وقيل : أسلم عند النجاشي ، وهاجر إلى رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد ، وعثمان بن أبي طلحة العبدري .

استعمله رسول الله ﷺ على عُمَان فلم يزل عليها إلى أن توفي رسول الله ﷺ .

سيَّرَهُ أبو بكر أميراً على الشام ، فشهد فتوحه ، وولي فلسطين لعمر بن الخطاب ، ثم سَيَّره عمر في جيش إلى مصر فافتتحها ، ولم يزل والياً عليها إلى أن توفي عمر ، فأَمَّره عليها عثمان أربع سنوات ، ثم عزله عنها واستعمل عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فاعتزل عمرو بفلسطين ، وكان يأتي المدينة أحياناً ، وبعد مقتل عثمان انحاز إلى معاوية وعاضده ، وشهد معه صِفِّين ومقامه فيها مشهور.

وهو أحد الحَكَمين ، والقصَّة مشهورة ، ثم سَيَّره معاوية إلى مصر، فاستنقذها من يد محمد بن أبي بكر، وهو عامل علي رضي الله عنه عليها ، واستعمله معاوية عليها إلى أن مات سنة ثلاث وأربعين هجرية .

كان من شجعان العرب وأبطالهم ودهاتهم ، توفي بمصر ودُفن بالمُقَطَّم[1] .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إني لأعلم أرضاً يقال لها عُمَان ينضح بناحيتها البحر، لو أتاهم رسولي ما رموه بسهم ولا بحجر»[2] .

وكان عمرو بن العاص رسول رسول الله ﷺ إلى عُمَان ، إلى ملكيها جَيْفر[3] وعبد ابني الجُلَنْدَى[4] .

الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني

---

(١) أُسد الغابة، جـ٤ ص٢٤٤ .

(٢) السِّيرة النبويَّة والآثار المحمديَّة ، جـ٢ ص٧٥ .

(٣) جَيْفَر: على وزن جَعْفَر. ابن سعد ، جـ١ ص٢٦٢ ، السِّيرة النبوية لابن كثير، جـ٣ ص٥١٥ ، السِّيرة النبويَّة والآثار المحمديَّة ، جـ٢ ص٧٦ ، وهي (خيفر) في إعلام السَّائلين ، ص٢٦ ، وذلك خطأ .

(٤) الجُلَنْدَى . وهي في إعلام السَّائلين، ص ٢٦ (الجليدي) خطأ . راجع : عيون الأثر، جـ٢ ص٢٦٧ . وورد الإسم في بعض المصادر الجُلَنْدِي أيضاً « كما في الروض الأُنف» .

الجلندى ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ؛ فإنّي أدعوكما بدعاية الإسلام ، أسلما تسلما فإنّي رسول الله إلى النَّاس كافة لأُنذر من كان حيّاً ويحق القول على الكافرين ، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وَلَّيْتُكُما ، وإن أبيتُمَا أن تُقِرّا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما ، وخيلي تحل بساحتكما ، وتظهر نبوَّتي على ملككما »[1] .

قال عمرو : ثم خرجت حتى انتهيت إلى عُمَان ، فلما قدمتها عمدت إلى عبد وكان أَحلم الرَّجُلَين وأسهلهما خُلُقاً ، فقلت : إنّي رسول رسول الله إليك وإلى أخيك ، فقال : أَخي الْمُقَدَّم عَلَيَّ بالسنِّ والملك ، وأَنا أُوصلك إليه حتى يقرأ كتابك ، ثم قال لي : وما يدعو إليه ؟ قلت : أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، وتخلع ما عُبِدَ من دونه ، وتشهد أن محمَّداً عبده ورسوله .

قال : يا عمرو ، إنَّك أَنت سيد قومك ، فكيف صنع أبوك ؟ فإنَّ لنا فيه قدوة .

عمرو : مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ ، ووددت أَنَّه كان أسلم وصدَّق به ، وقد كنت أَنا على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام .

قال : فمتى تبعته ؟

---

(١) إعلام السّائلين ، ص ٢٧ ، السّيرة الحلبيّة ، جـ٣ ص ٢٨٤ ، طبقات ابن سعد ، جـ١ ص ٢٦٢ .

عمرو: قريباً.

قال: وأين كان إسلامك؟

عمرو: عند النجاشي. يقول عمرو: وأخبرته أن النجاشي قد أسلم، فقال: فكيف صنع قومه بمُلْكه؟ قلت: أقرُّوه واتَّبعوه. قال: والأساقفة والرهبان تبعوه؟ قلت: نعم، قال: انظر يا عمرو ما تقول، إنه ليس من خصلة في الرجل أفضح من الكذب، قلت: ما كذبت، وما نَسْتَحِلُّهُ في ديننا، ثم قال: ما أرى هرقل عَلِمَ بإسلام النجاشي، قلت: بلى، قال: بأي شيء علمتَ ذلك؟ قلت: كان النجاشي يُخْرِج له خرجاً، فلما أسلم وصدَّق بمحمد ﷺ قال: لا والله لو سألني درهماً واحداً ما أعطيته، فبلغ هرقل قوله، فقال له نياق أخوه: أتدع عبدك لا يُخْرِجُ خَرْجاً ويدين[1] ديناً محدثاً؟ قال هرقل: رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما أصنع به؟! واللهِ لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع. قال: انظر ما تقول يا عمرو، قلت: والله صدقتك، قال عبد: فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه؟ قلت: يأمر بطاعة الله عز وجل، وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعبادة الحجر والوثن والصليب، فقال: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، لو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدِّق به، ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه

---

(١) في (إعلام السائلين) ص ٢٨: «لا يخرج خرجاً وتدين ديناً محدثاً».

ويصير ديناً، قلت: إنَّه إن أَسلم مَلَّكَهُ رسول الله ﷺ على قومه، فأخذ الصَّدقة من غنيِّهم فردَّها على فقيرهم، فقال: إن هذا لخلق حسن، وما الصَّدقة؟ فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ من الصَّدقات في الأموال حتى انتهيت إلى الإبل، فقال: يا عمرو، يؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه؟ فقلت: نعم، فقال: والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون هذا.

قال عمرو: فمكثت بباب جيفر أياماً، وعبد يعبر فيخبره كلَّ خبري، ثم إنَّه دعاني يوماً فدخلت عليه، فأخذ أعوانه بضبعي[1] فقال: دعوه، فأُرْسِلْتُ، فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس، فنظرت إليه فقال: تكلَّم بحاجتك، فدفعت إليه الكتاب مختوماً، ففضَّ خاتمه فقرأه حتى انتهى إلى آخره، ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثل قراءته، إلاَّ أنِّي رأيت أَخاه أرق منه، ثمَّ قال: أَلا تخبرني عن قريش كيف صنعت؟ فقلت: اتَّبعوه إمَّا راغب في الدين، وإمَّا مقهور بالسَّيف، قال: ومن تبعه؟ قلت: الناس قد رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره، وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إيَّاهم أَنهم كانوا في ضلال، فما أعلم أحداً بقي غيرك في هذه الحَرَجة[2]، وأنت إن لم تسلم اليوم وتتَّبعه تطؤك الخيل وتبيد

---

(١) الضَّبْعَ: وسط العَضُد يكون للإنسان وغيره، وقيل: العضد كلها، وقيل: الإبْطُ، أَخَذَ بِضَبْعَيْهِ: أي بعضديه. لسان العرب، جـ٨ ص٢١٦.

(٢) الحِرْجُ والحَرَجُ: الإِثْمُ. لسان العرب، جـ٢ ص٢٣٣.

خَضْراءَكَ ، فأسلم تسلم ويستعملك على قومك ، ولا تدخل عليك الخيل والرِّجال ، قال : دعني يومي هذا وارجع إليَّ غداً ، فرجعت إلى أخيه فقال : يا عمرو ، إنِّي لأرجو أن يُسْلِمَ إن لم يضن بملكه . حتى إذا كان الغد أتيت إليه فأبى أن يأذن لي ، فانصرفت إلى أخيه فأخبرته أنّي لم أصل إليه ، فأوصلني إليه ، فقال : إنِّي فكَّرت فيما دعوتني إليه ، فإذا أنا أضعف العرب إن مَلَّكْتُ رجلاً ما في يدي ، وهو لا تبلغ خيله ههنا ، وإن بلغت خيله ألفت قتالاً ليس كقتال من لاقى ، قلت : وأنا خارج غداً ، فلما أيقن بمخرجي ، خلا به أخوه فقال : ما نحن فيما قد ظهر عليه وكل من أرسل إليه قد أجابه ، فأصبح فأرسل إليَّ فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً ، وصدّقا النبيَّ ﷺ ، وخلَّيا بيني وبين الصَّدقة وبين الحكم فيما بينهم ، فكانا لي عوناً على من خالفني[1] .

وبذلك أعاناه على أخذ الصَّدقة من غنيِّهم وردِّها على فقيرهم ، والحكم بينهم بما أنزل الله عز وجل .

☆ ☆ ☆

(١) إعلام السّائلين ، ص ٢٧ و ٢٨ .

٧ـ كتاب رسول الله ﷺ إلى هَوْذَة بن علي الحنفي صاحب اليمامة :

☆ **حامل الكتاب :** سَلِيط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نضر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب العامري ، أخو سهيل والسكران ابني عمرو.

بعثه رسول الله ﷺ إلى هَوْذَة بن علي صاحب اليَمَامَة[1] ، وإلى ثُمامة بن أُثَال الحنفي ، وهما رئيسا اليمامة ، وذلك سنة ست أو سبع للهجرة .

وكان سَلِيط بن عمرو من المهاجرين الأَوَّلين ممن هاجر الهجرتين[2] .

الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هَوْذَة بن علي ، سلام على من اتبع الهدى ، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر ، فأسلم تسلم ، وأَجْعَلُ لك ما تحت يديك »[3] .

---

(١) اليمامة : على نحو ست عشرة مرحلة من مكة شرقاً.

(٢) أسد الغابة ، جـ٢ ص٤٤٠ .

(٣) إعلام السّائلين ، ص ٣٤ ، السّيرة النبويّة لابن كثير ، جـ٣ ص٥١٥ ، عيون الأثر ، جـ٢ ص٢٦٩ ، الكامل في التاريخ ، جـ٢ ص١٤٦ ، ابن سعد ، جـ١ ص٢٦٢ ، السّيرة النبويّة والآثار المحمديّة ، جـ٢ ص٧٨ ، السّيرة الحلبيّة ، جـ٣ ص ٢٨٥ و٢٨٦ .

فلما قدم عليه سَلِيط بكتاب النبي ﷺ مختوماً، أنزلـه وحيّـاه وقرأ عليه الكتاب.

قال سَلِيط: يا هَوْذَة[1]، إنَّكَ سَوْدتك أعظم حـائلـة ـ أي بـاليـة ـ وأرواح في النار، وإنَّما السيد من مُتِّع بالإيمان، ثم زُوِّد بالتقوى إن قوماً سعدوا برأيك فلا يشقون به، وإني آمرك بخير مـأمور بـه، وأنهـاك عن شيء منهيٌّ عنه، آمرك بعبادة الله، وأنهاك عن عبادة الشيطان، فإن في عبادة الله الجنَّة، وفي عبادة الشيطان النار، فإن قبلت نلت مـا رجوت وأَمنت مـا خفت، وإن أبيت فبيننـا وبينـك كشف الغطـاء وهـول المُطَّلع.

فقال هَوْذَة: ياسَلِيط، سَوَّدني مَنْ لو سَوَّدك شرفت بـه، وقـد كان لي رأيي أختبر به الأُمور ففقـدتـه، فموضعـه من قلبي هواء، فـاجعل لي فسحة يرجع إليَّ فيها رأيي فأُجيبك به إن شاء الله[2].

لقد ردَّ هَوْذَة رداً فيـه لطف، ولكنـه ليس برد، وكتب إلى رسول الله ﷺ «ماأَحسن ماتدعو إليه وأَجمله، وأنـا شـاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأَمر أتَّبعـك»، وأجـاز سَلِيطـاً

---

(١) في إعلام السَّائلين، ص ٣٤ (هودة) خطـأ، وهو: هَوْذة، كما في المراجع المدوَّنة في الحاشية السابقة.

(٢) السِّيرة الحلبيَّة، جـ٣ ص٢٨٦، السِّيرة النبويَّة والآثار المحمديَّة، جـ٢ ص٧٩.

بجائزة وكساه أثواباً من نسج هجر[1] ، فقدم بذلك كله على رسول الله فأخبره بذلك ، ودفع إليه كتابه ، فلما علم رسول الله ﷺ بما فيه قال : «لو سألني شبابة[2] من الأرض ما فعلت ، باد وباد ما في يده» .

بعد فتح مكة ، جاء جبريل عليه السَّلام وقال لرسول الله ﷺ : مات هَوْذَة . فأخبر ﷺ صحابته وقال : «أما إن اليمامة سيخرج بها كذَّاب يتنبَّأ ، يُقْتَلُ بها بعدي ، فقال قائل : يا رسول الله من يقتله ؟ فقال ﷺ : أنت وأصحابك» . فكان كذلك[3] .

☆ ☆ ☆

٨ـ كتاب رسول الله ﷺ إلى الحارثِ بنِ أَبي شَمِرِ الغَسَّاني :

☆ **حامل الكتاب :** شُجَاع بن أبي وَهْب الأسدي ، أسلم قديماً ، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، وعاد إلى مكَّة لما بلغ المهاجرين أَن أهل مكة أسلموا ، ثم هاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً هو وأخوه عقبة بن أبي وهب ، وشهد المشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ ، وأرسله ﷺ إلى الحارث بن أبي شَمِرِ الغَسَّاني ، وإلى جبلة بن الأَيهم الغسَّاني .

---

(١) الهجر بلغة حِمْيَر والعرب العاربة : القرية ، فمنها هجر البحرين ، وهجر نجران ، وهجر جيزان .. وهجر مدينة وهي قاعدة البحرين ، وقيل ناحية البحرين كلها ، معجم البلدان ، جـ٥ ص ٣٩٣ .

(٢) الشَّبُّ : حجر معروف ، يدبغ به الجلود ، لسان العرب ، جـ١ ص ٤٨٣ .

(٣) إعلام السَّائلين ، ص : ٣٥ .

استشهد شُجَاع يوم اليمامة وهو ابن بضع وأربعين سنة[1] .

الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمــد رسـول الله إلى الحرث[2] بن أَبي شَمِر سلام على من اتبع الهـدى وآمن بـالله وصـدَّق ، وإنِّي أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك »[3] .

ختم ﷺ الكتـاب ، وخرج بـه شجـاع بن أبي وهب ، قـال : فلمـا قدمتُ عليه ، انتهيت إلى حـاجبـه فـأجـده يومئـذ وهو مشغول بتهنئـة الأتراك والألطـاف لقيصر وهـو جـاء من حمص إلى إيليـاء ـ القـدس ـ حيث كشف الله عنه جنود فارس شكراً لله تعالى .

قال شجاع : فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة ، فقلت لحـاجبـه : إني رسولُ رسولِ الله ﷺ إليه ، فقال حاجبه : لا تصل إليـه حتى يخرج يوم

---

(١) أُسد الغابة ، جـ٢ ص٥٠٥ ، وفي رواية قتله الحارث بن أبي شَمِر الغسَّاني عندما جاءه بالكتاب .

(٢) هو (الحرث) في : إعلام السَّائلين ، ص٣٢ ، الكامل في التـاريخ ، جـ٢ ص١٤٣ و١٤٥ ، والسِّيرة الحلبيَّة ، جـ٣ ص٢٧٢ و٢٨٦ ، والسِّيرة النبـويَّـة والآثـار المحمـديَّـة ، جـ٢ ص٥٨ و٨٠ . وهـو (الحارث) في : أسد الغـابـة ، جـ٢ ص٥٠٥ ، والسِّيرة النبويـة لابن كثير ، جـ٣ ص٥٠٦ ، عيون الأثر ، جـ٢ ص٢٧٠ ، البداية والنهايـة ، جـ٤ ص٢٦٨ ، ابن هشـام ، جـ٤ ص١٨٨ ، ابن سعـد ، جـ١ ص٢٦١ . وهو ملك تخوم الشام ، كان مقامه بغوطة دمشق .

(٣) نصُّ الرسالة في المراجع المدوَّنة في الحاشية السابقة .

كذا وكذا ، وجعل حاجبه وكان روميّاً اسمه (مرا) يسلني عن رسول الله ﷺ وما يدعو إليه ، فكنت أُحدِّثه فيرقُّ حتى يغلبه البكاء ويقول : إني قرأت في الإنجيل ، وأجد صفة هذا النبيّ بعينه ، فكنت أراه يخرج بالشام ، فأراه قد خرج بأرض القَرَظ[1] ، فإنّي أؤمن به وأُصدِّقه ، وأَنا أَخاف من الحرث بن أبي شَمِر أن يقتلني ، قال شجاع : فكان هذا الحاجب يكرمني ، ويُحْسِنُ ضيافتي ، ويخبرني عن الحرث باليأس منه ويقول : هو يخاف قيصر.

قال شجاع : فخرج الحرث يوماً فوضع التاج على رأسه ، فأُذِنَ لي عليه ، فدفعت إليه كتاب رسول الله ﷺ فقرأه ، ثم رمى به وقال : « من ينتزع مني مُلْكي أنا سائر إليه ولو كان باليمن جئته » ، عَلَيَّ بالناس ، فلم يزل جالساً يعرض حتى الليل ، وأمر بالخيل أن تنعل ، ثم قال : أخبر صاحبك بما يرى ، وكتب إلى قيصر يخبره خبري ، فصادف قيصر بإيلياء وعنده دحية الكلبي ، وقد بعثه إليه رسول الله ﷺ ، فلما قرأ قيصر كتاب الحرث ، كتبه إليه أن لا تسر إليه وَٱلْهُ عنه ووافني بإيلياء ، ورجع الكتاب وأنا مقيم ، فدعاني وقال : متى تريد أن تخرج إلى صاحبك ؟

---

(١) ذو القَرَظ : موضع باليمن ، معجم البلدان ، جـ٤ ص٣٢٥ ، وكأنه ذكر الجزء وأراد الكل ، كل الجزيرة العربية.

شجاع : غداً . فأمر لي بمئة مثقال ذهباً[1] ، ووصلني سِرّاً بنفقة وكسوة ، وقال : اقرأ على رسول الله ﷺ مني السَّلام ، وأخبره أنّي متبع دينه .

قال شجاع : فقدمت على النبي ﷺ فأخبرته فقال : « باد مُلْكُهُ » ، وأقرأته من (مرا) السَّلام وأخبرته بما قال ، فقال رسول الله ﷺ : « صدق »[2] .

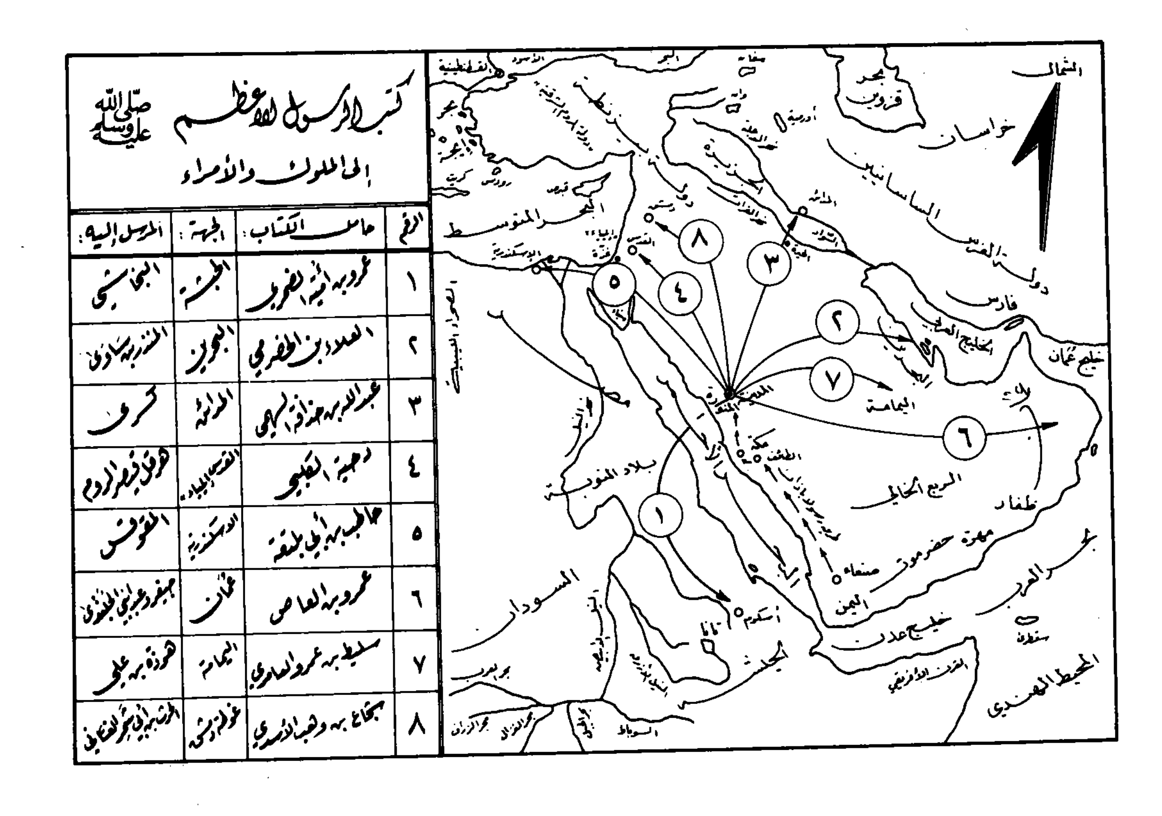
☆ ☆ ☆

(١) هذا ماأورده ابن طولون الدمشقي في إعلام السَّائلين ، ص٣٣ و٣٤ . وفيه نظر ، فردُّ الحرث كان قاسياً ، هذا هو الثابت ، أما الذي أمر لشجاع بمئة مثقال ذهباً ، وبنفقة وكسوة ، فهو جبلة بن الأيهم الغسَّاني ، الذي أسلم وكان ثابتاً على إسلامه لزمن عمر رضي الله عنه . فإنه حجَّ في خلافته ، فرحَّب به وأدنى مجلسه ، وأقام بالمدينة مكرَّماً ، فخرج عمر رضي الله عنه حاجّاً فخرج معه ، وحين تطوَّف بالبيت وطئ رجل من فزارة على إزاره ، فانحل فلطم الفزاري لطمة هشَّم بها أنفه وكسر ثناياه ، فشكا الفزاري إلى عمر فاستدعاه وقال له : هشَّمت أنفه ؟ فقال : ياأمير المؤمنين تعمَّد حل إزاري ، ولولا حرمة البيت لضربت عنقه بالسّيف . فقال عمر : أما أنت فقد أقررت إمّا أن ترضيه ، وإلاّ أُقدته منك ، فقال جبلة : أتقتص له مني وأنا ملك وهذا سوقي ؟ فقال عمر : الإسلام سوى بينكما ، ولا فضل لك عليه إلا بالتقوى ، جبلة : فأنا أتنصَّر ، فإني كنت أظن ياأمير المؤمنين أني أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية ، عمر : إذاً أضرب عنقك ، جبلة : فأمهلني الليلة حتى أنظر في أمري ، قال : ذلك إلى خصمك ، فقال الفزاري : أمهلته ياأمير المؤمنين ، فأذن له عمر في الانصراف ، فركب وهرب إلى القسطنطينية وتنصَّر هناك ، وقيل : عاد إلى الإسلام ومات مسلماً . (السّيرة الحلبيَّة ، جـ٣ ص٢٨٨) .

(٢) إعلام السَّائلين ، ص٣٤ .

كتب الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء

الرقم	حامل الكتاب	الجهة	المرسل إليه
١	عمرو بن أمية الضمري	الحبشة	النجاشي
٢	العلاء بن الحضرمي	البحرين	المنذر بن ساوى
٣	عبد الله بن حذافة السهمي	المدائن	كسرى
٤	دحية الكلبي	القدس (إيلياء)	هرقل قيصر الروم
٥	حاطب بن أبي بلتعة	الإسكندرية	المقوقس
٦	عمرو بن العاص	عمان	جيفر وعبد ابني الجلندى
٧	سليط بن عمرو العامري	اليمامة	هوذة بن علي
٨	شجاع بن وهب الأسدي	غوطة دمشق	الحارث بن أبي شمر الغساني





غزوة مؤتة

«فَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ»

☆ عبد الله بن رواحة : يا قوم ، والله إن التي تكرهون لَلّتي خرجتم تطلبون الشّهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين ، إما ظهورٌ وإما شهادة .

فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة ، فمضى الناس .

☆ «الاكتفاء : ٢ / ١٣٥ / ب ، ابن هشام : ٤ / ٩ ، ابن خلدون : ٢ / ٤١ ، عيون الأثر : ٢ / ١٥٤ ، السّيرة النبويّة : ٣ / ٤٥٩ ، السّيرة الحلبيّة : ٣ / ٧٧» .



غزوة مؤتة

☆ «أوصيكم بتقوى الله، وبمن معكم من المسلمين خيراً، اغزوا باسم الله، فقاتلوا عدو الله وعدوّكم بالشام، وستجدون فيها رجالاً في الصّوامع معتزلين فلا تتعرّضوا لهم، ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً ولا بصيراً فانياً، ولا تقطعوا شجرةً، ولا تهدموا بناءً».

رسول الله ﷺ

أسبابها :

بعث رسولُ الله ﷺ الحارثَ بن عُمَير الأزدي، أحد بني لِهْبٍ، إلى ملك بُصْرَى[1] بكتاب، فلما نزل مؤتة، عرض له شُرَحبيل بن عمرو الغسّاني، وهو من أُمراء قيصر على الشام، فقال: أين تريد؟ لعلّك من رسل محمد؟ قال الحارث: نعم، فأوثقه ربطاً، ثم قدّم شُرحبيلُ الحارثَ فضرب عنقه، ولم يُقْتَل لرسول الله ﷺ رسولٌ غيره، فلما بلغ رسول الله

(١) بُصْرَى: بلدة بالشام من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حَوْران. معجم البلدان، جـ١ ص ٤٤١.

ﷺ ذلك اشتد الأمر عليه، فجهّز جيشاً لِيُسَيِّره إلى مؤتة[1]، وهدفه:

١ - تأديب عامل هرقل على بُصْرى، الذي قتل رسولَ رسولِ الله، فمقتل الحارث يمثّل خَرْقاً لقاعدة أساسية في العرف الدولي، لأن الرسول لا يُقتل، لأنّه مُبَلِّغ فقط، فلا يُسَاء إليه مهما تضمّنت الرسالة التي يحملها.

٢ - وقتل رسول رسول الله تحدّ صريح واعتداء مباشر على الإسلام عندما كان يركّز دعائمه في أرجاء جزيرة العرب، وهذا الاعتداء الصريح قلّل هيبة الإسلام في نفوس الأعراب الذين أذعنوا له بسبب قُوّته وهيبته، والإسلام حريص على بقاء هذه الهيبة، والسّكوت عن قتل الحارث يُزَعزع الأعراب ويمهّد لتجرّئهم على المسلمين وسراياهم، فإرسال سريّة مؤتة يحفظ للإسلام هيبته في نفوس الأعراب.

٣ - وكان على رسول الله ﷺ وقد أسمع صوته إلى أُمّته العربية، أن يُسْمِع صوته إلى كل أُمم الأرض، وكان من الطبيعي أن يبدأ بمن حوله من الممالك، فقد كانت هذه البلاد تربطها بالعرب صلات، وكانت لها مدنيات جديرة بأن يهذبها الإسلام، ويصلح ما فيها من

---

(١) لترجمة الحارث بن عُمَير الأزدي راجع: أُسد الغابة، جـ١ ص٤٠٨، الإصابة في تمييز الصحابة للعسقلاني، جـ١ ص٢٨٦، الاستيعاب في أسماء الأصحاب للقرطبي، جـ١ ص٣٠٤، عيون الأثر، جـ٢ ص١٥٣، طبقات ابن سعد، جـ٢ ص١٢٨، السّيرة الحلبيّة، جـ٣ ص٧٧.

فساد، حتى تكتمل حضارتها، وليستقيم عوجها[1].

من دستور الحرب في الإسلام:

سيَّر رسول الله ﷺ جيشه إلى مُؤْتَة في جمادى الأُولى من سنة ثمان[2]، واستعمل عليه - وهو ثلاثة آلاف مجاهد - زيد بن حارثة رضي الله عنه، وقال: «إن أُصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس»[3].

فتجهَّز الناس، ثم تهيَّأوا للخروج، وبالجُرْف حيث عسكروا وتجمَّعوا، عقد لهم رسول الله ﷺ لواءً أبيضَ، ودفعه إلى زيد بن حارثة، وأمرهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عُمَير، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلاّ استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم. ولما خرج الجيش وانطلق شمالاً، خرج ﷺ معه مشيِّعاً حتى بلغ ثنية الوداع، فقال: «زيد بن حارثة أمير الناس، فإن قُتِل زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن قُتِل جعفر فعبد الله بن رواحة، فإن قُتِل عبد الله بن

---

(١) صور من حياة الرسول (بتصرُّف)، ص٤٩٧.

(٢) الموافق أيلول (سبتمبر) ٦٢٩ م، والمصادر متفقة كلها على سنة ثمان: الاكتفاء، جـ١ ص١٣٥/ب، السِّيرة النبويَّة لابن كثير، جـ٣ ص٤٥٥، السِّيرة الحلبيَّة، جـ٣ ص٧٦، ابن خلدون، جـ٢ ص٤٠، ابن سعد، جـ٢ ص١٢٨، ابن هشام، جـ٤ ص٧، عيون الأثر، جـ٢ ص١٥٣، الكامل في التاريخ، جـ٢ ص١٥٨، السِّيرة النَّبويَّة والآثار المحمديَّة، جـ٢ ص٢٦٩.

(٣) الاكتفاء، جـ١ ص١٣٥/ب، الطبري، جـ٣ ص٣٦، ابن خلدون، جـ٢ ص٤٠.

رواحة فليَرْتضِ المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم»[1].

وسمع أحد اليهود واسمه النعمان بن فنْحَص ذلك، فقال للنبي ﷺ: أبا القاسم، إن كنت نبياً، فلو سَمَّيت من سَمَّيت قليلاً أو كثيراً أُصيبوا جميعاً، إن الأنبياء من بني إسرائيل كانوا إذا سمَّوا الرجلَ على القوم فقالوا: إن أُصيب فلان ففلان، فلو سَمَّوا مئةً أُصيبوا جميعاً، ثم جعل يقول لزيد: اعهَدْ، فإنك لا ترجع أبداً إن كان محمداً نبياً[2].

فقال زيد: أشهد أنه نبيٌّ صادق بارٌ، ﷺ.

وعند ثنية الوداع قال ﷺ للجيش: «أُوصيكم بتقوى الله، وبمن معكم من المسلمين خيراً، اغزوا باسم الله، فقاتلوا عدو الله وعدوَّكم بالشام، وستجدون فيها رجالاً في الصوامع معتزلين فلا تتعرَّضوا لهم، ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً ولا بصيراً فانياً، ولا تقطعوا شجرةً، ولا تهدموا بناءً»[3].

وهذه وصيَّة جديرة بأن تتَّخذ دستوراً لجيوش العالم كله، وأن تنفَّذ نصَّاً وروحاً للحدِّ من شقاء حروب العالم اليوم، التي تدمِّر البيوت، وتهدم

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، جـ٢ ص١٢٨، السِّيرة النبويَّة لابن كثير، جـ٣ ص٤٥٥.

(٢) السِّيرة النَّبويَّة لابن كثير، جـ٣ ص٤٥٦، السِّيرة الحلبيَّة، جـ٣ ص٧٧، السِّيرة النَّبويَّة والآثار المحمديَّة، جـ٢ ص٢٧٠.

(٣) السِّيرة الحلبيَّة، جـ٣ ص٧٧، السِّيرة النبويَّة والآثار المحمديَّة، جـ٢ ص٢٧٠.

المدن ، وتخرّب الزروع ، بالإضافة إلى البغي والظلم ، والتهجير للسكان المدنيين الآمنين من أطفال ونساء وشيوخ ومرضى وجرحى ..

أما في الإسلام ، فإن كانت الحرب لا محالة واقعة ، فهي في منتهى الرحمة والإنسانية بحق المدنيين وممتلكاتهم ، فلا غدر ، ولا قتل أطفال ، ولا هدم بيوت ، حتى بيوت المحاربين ، فضلاً عن بيوت المدنيين المسالمين .

وانطلق الجيش بعد هذه الوصية الرائعة الرحيمة بقيادة زيد بن حارثة رضي الله عنه شمالاً باتجاه تخوم الشام الجنوبية . فَمَنْ زيد بن حارثة ، ومَنْ جعفر ، ومَنْ عبد الله بن رواحة ؟

☆ ☆ ☆

جيش الأُمراء :

أ ـ زيد بن حارثة : «وايم الله إن كان لخليقاً للإمارة» :

زيد بن حارثة بن شُرَاحِيل بن كعب بن عبد العُزّى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد وُدّ . وأُمُّه : سعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر بن أَفْلت من بني مَعْن من طيء . وهو : أبو أُسامة[1] .

---

(١) لترجمة زيد بن حارثة راجع : أُسد الغابة ، جـ٢ ص٢٨١ ، السِّيرة النبويَّة لابن كثير ، جـ٣ ص٤٨٠ ، الإصابة في تمييز الصحابة للعسقلاني ، جـ١ ص٥٦٣ ، الاستيعاب في أسماء الأصحاب للقرطبي ، جـ١ ص٥٤٤ .

مـولى رسـول الله ، وهـو حِبٌّ رسـول الله ﷺ ، أصـابـه سبـاء في الجاهلية ، لأن أُمَّـه خرجت بـه تزور قومهـا بني مَعْن ، فـأغـارت عليهم خيل بني القَيْن بن جِسْر ، فـأخـذوا زيـداً ، فقـدمـوا بـه سـوق عكاظ ، فاشتراه حكيم بن حِزَام لعمَّته خـديجـة بنت خويلـد ، وقيل : اشتراه من سوق حُبَاشـة - سوق من أسواق العرب في الجـاهليـة - فوهبتـه خـديجـة لرسول الله ﷺ قبل النبوَّة وهو ابن ثماني سنين ، وفي روايـة : رآه رسول الله ﷺ بالبطحاء بمكة يُنَادى عليه لِيُباع ، فأتى خـديجـة فـذكره لهـا ، فاشتراه من مالها ، فوهبته لرسول الله ﷺ ، فأعتقه وتبنَّاه ، وآخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه .

وكان أبوه قد وَجِد لفقده وَجْداً شديداً ، فقال فيه :

بكيتُ على زيـدٍ ولم أدْرِ مـا فعـل
أحَيٌّ يُرَجَّى أمْ أَتى دُونَـهُ الأَجـلْ ؟
فـوالله مـا أدري وإن كنت سـائـلاً
أغالَكَ سَهْلُ الأرضِ ، أَمْ غالَكَ الجَبَلْ ؟
فيا ليتَ شعري هل لك الدهرَ رجعة ؟
فَحَسْبي من الدنيـا رجوعـك لي بجل (١)

---

(١) بجل بمعنى حَسْب .

تُــذَكِّرنيــه الشمسُ عنــد طُلُــوعِهــا

وتعرِضُ ذكراه إذا قــاربَ الطَّفَــلْ[1]

وَإن هبَّت الأرواحُ هَيَّجن ذِكْرَهُ

فيـا طول مـا حُزْني عليـه ويـا وَجَلْ[2]

سَأعْمِل نَصَّ العِيسِ[3] في الأرض جاهـداً

ولا أسـأم التَّطـواف أَو تسـأمَ الإبـلْ

حيــــاتي أو تــــأتي عليَّ مَنِيَّتي

وكلُّ امرئ فــانٍ وَإن غرّه الأَمـلْ

سَــأُوصي بــه قيســاً وعَمْراً كليهما

وَأُوصي يَـزِيـداً[4] ثُمَّ من بعـده جَبَـل[5]

ثُمَّ إن أُنـاسـاً من كلب حجُّوا فرأوا زيـداً، فعرفهم وعرفـوه، فقـال لهم: أبلغوا عني أهلي هذه الأبيات، فإني أَعلم أَنهم جزعوا عَلَيَّ، فقال:

أَحِنُّ إلى قــومي وَإن كنتُ نــائيــاً

فــإنّي قَعِيــدُ البيتِ عنــد المشــاعر

---

(١) طفلت الشمس للغروب: دنت منه، واسم تلك السّاعة: الطَّفَل.

(٢) الوجل: الخوف.

(٣) أعمل ناقته: ساقها، والنص: استخراج أقصى ما لديها من السَّيْر، والعيس: الإبل.

(٤) يزيد: أخو زيد لأُمّه، يزيد بن كعب بن شراحيل.

(٥) جبل: يعني جبلة بن حارثة، أخا زيد، وكان أكبر من زيد.

فكفُّوا من الوجد الذي قد شجاكُمُ
ولا تُعْملوا في الأرض نصَّ الأباعر
فإنِّي بحمدِ اللهِ في خير أُسْرَةٍ
كِرام معد كابراً بعد كابر

فانطلق الكلبيُّون فأعلموا أباه، ووصفوا له وصفه، وعند من هو، فخرج حارثة وأخوه كعب ابنا شراحيل لفدائه، فقدما مكة، فدخلا على رسول الله ﷺ فقالا: يا ابن عبد المطلب، يا ابن هاشم، يا ابن سيِّد قومه، جئناك في ابننا عندك، فامنن علينا، وأحسن إلينا في فدائه، فقال ﷺ: «مَنْ هو؟» قالا: زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ: «فهلاَّ غير ذلك؟» قالا: ما هو؟ قال ﷺ: «ادعوه وخيِّروه فإن اختاركم فهو لكم، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على مَنِ اختارني أحداً»، قالا: قد زدتنا على النَّصَف، وأحسنت، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «هل تعرف هؤلاء؟»، قال زيد: نعم، هذا أبي، وهذا عمِّي، فقال ﷺ: «فأنا من قد عرفت ورأيت صحبتي لك، فاخترني أو اخترهما»، فقال زيد: ما أريدهما، وما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني مكان الأب والعم، فقالا: ويحك يا زيد، أتختار العبودية على الحريَّة وعلى أبيك وأهل أبيك؟ قال: نعم، قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً. فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك، أخرجه إلى الحِجْر فقال: «يا من حضر، اشهدوا أن زيداً ابني، يرثني

وأرثه » ، فلما رأى ذلك أبوه وعمُّه ، طابت نفساهما وانصرفا .

قال ابن إسحاق : إن علياً أسلم بعد خديجة ، ثم أسلم بعده زيد ، ثم أبو بكر.

أو : أبو بكر، ثم علي ، ثم زيد .

شهد زيد بدراً ، وهو الذي كان البشير إلى المدينة المنوَّرة بالظفر والنصر.

زوجه رسول الله من مولاته أم أيمن[1] ، فولدت له أُسامة ، فكان يُقَال له : الحِبّ بن الحِبّ .

وكان زوج زينب بنت جحش ، وهي ابنة عمَّة رسول الله ﷺ ، وهي التي تزوجها رسول الله ﷺ بعد زيد .

أنزل الله عز وجل في كتابه الكريم في حق زيد :

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ ﴾[2] .

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[3] .

---

(١) واسمها بركة ، السِّيرة النَّبويَّة لابن كثير، جـ٣ ص ٤٨١ .

(٢) [الأحزاب : ٣٧] .

(٣) [الأحزاب : ٤٠] .

﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ ﴾[1].

ولم يسمِّ الله سبحانه وتعالى أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ غير زيد، كان اسمه زيد بن محمد وهذا شرف عظيم لا شك، فلما دُعي لأبيه زيد بن حارثة، عوَّضه الله بشرف ومجد ورفعة لم ينلها صحابي قط، ذكر اسمه الصريح في القرآن الكريم: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَي لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤمِنينَ حَرَجٌ في أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِم إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً ﴾[2].

تقول عائشة: ما بعث رسول الله ﷺ في سَرِيَّة إلا أمَّره عليهم، ولو بقي لاستخلفه بعده.

قال سلمة بن الأكوع: غزوت مع النبي ﷺ سبع مرات، ومع زيد بن حارثة سبع غزوات يؤمِّره علينا رسول الله ﷺ.

وعن ابن عمر قال، قال رسول الله ﷺ: «وآيم الله إن كان لخليقاً للإمارة»، يعني زيداً.

وقالت عائشة: قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله ﷺ في بيتي، فأتاه فقرع الباب، فقام إليه حتى اعتنقه وقبَّله.

---

(١) [الأحزاب: ٥].

(٢) [الأحزاب: ٣٧].

وقال ﷺ : « أحب النـاس إليَّ من أنعم الله عليـه وأنعمتُ عليـه » ـ يعني زيد بن حارثة ـ ، أنعم الله عليه بالإسلام ، وأنعم عليـه رسول الله ﷺ بالعتق .

ولمـا أتى رسـول الله ﷺ خبرُ جعفر وزيـد بكى وقـال : « أخـواي ومُؤْنِسَاي ومُحَدِّثاي » ، وشهد له رسول الله ﷺ بـالشهـادة ، واستشهـد زيد رضي الله عنه ، وهو ابن خمس وخمسين سنة[1] .

وعن ابن عمر : فرض عمر لأُسـامـة بن زيـد أكثر ممـا فرض لي ، فسألته فقـال : إنَّـه كان أَحب إلى رسول الله ﷺ منـك ، وإن أبـاه كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك .

☆ ☆ ☆

٢ـ جعفر بن أبي طالب : «أشبه الناس برسول الله ﷺ خُلُقاً وخَلْقاً» .

جعفر بن أبي طالب ، واسم أبي طالب عبد منـاف بن عبـد المطلب بن هـاشم بن عبـد منـاف بن قُصَي القرشي الهـاشمي[2] . ابن عمِّ رسول الله ﷺ ،

---

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ، جـ١ ص٥٦٤ .

(٢) لترجمة جعفر رضي الله عنه راجع : أسـد الغـابـة ، جـ١ ص٣٤١ ، الإصـابـة في تميز الصحـابـة ، جـ١ ص٢٣٧ ، الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، جـ١ ص٢١٠ .

وأخو علي بن أبي طالب لأبويه، أسلم بعد إسلام أخيه بقليل.

روي أن أبا طالب رأى رسول الله ﷺ وعلياً رضي الله عنه يصلّيان، وعلي عن يمينه، فقال لجعفر رضي الله عنه: صِلْ جناح ابن عمك وصَلّ عن يساره.

وقيل: أسلم بعد واحد وثلاثين إنساناً، وكان هو الثاني والثلاثين.

له هجرتان، هجرة إلى الحبشة، وهجرة إلى المدينة المنوَّرة.

كان رسول الله ﷺ يَسَميه أبا المساكين، وكان أسنَّ من عليّ بعشر سنين، وأخوه عقيل أسن منه بعشر سنين، وأخوهم طالب أسن من عقيل بعشر سنين.

ولما هاجر إلى الحبشة، أقام بها عند النجاشي، إلى أن قدم على رسول الله ﷺ حين فتح خيبر، فتلقاه رسول الله ﷺ واعتنقه، وقبَّل بين عينيه، وقال: «ما أدري بأيها أنا أشد فرحاً، بقدوم جعفر، أَمْ بفتح خيبر؟»، وأنزله ﷺ إلى جانب المسجد في المدينة المنوَّرة.

قال أبو هريرة: ما احتذى النعال، ولا ركب المطايا، ولا ركب الكُور[1]، ولا وطئ التراب بعد رسول الله ﷺ أفضل من

---

(١) الكُورُ: الرحل، وقيل: الرحل بأداته، وهو رَحْل الناقة بأداته، وهو كالسَرْج وآلته للفرس. لسان العرب، جـ٥ ص١٥٥.

جعفر[1] ، لذلك لما سمع رسول الله ﷺ فاطمة حين جاء نعي جعفر تقول : واعمّاه ، قال : « على مثل جعفر فلتبك البواكي »[2] .

قال رسول الله ﷺ : « لم يكن قبلي نبيٌّ إلا قد أُعطي سبعة رفقاء نجباء وزراء ، وإني أُعطيت أربعة عشر : حمزة ، وجعفر ، وعلي ، وحسن ، وحسين ، وأبو بكر ، وعمر ، والمقداد ، وحذيفة ، وسلمان ، وعمّار ، وبلال ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو ذر » .

وقال له ﷺ : « وأما أنت يا جعفر فأشبهت خلْقي وخُلُقي ، وأنت من عترتي التي أنا منها » .

وهو أول من عقر فرسه في الإسلام[3] .

استشهد وهو ابن ٣٩ سنة[4] ، قال ﷺ : « أبدله الله جناحين يطير بهما في الجنة » ، فسمي : جعفر الطَّيَّار ، نزل جبريل عليه السَّلام بعد حزن رسول الله على جعفر فأخبره أن الله جعل لجعفر جناحين مضرَّجين بالدم يطير بهما مع الملائكة .

---

(١) الروض الأُنف ، جـ٤ ص ٨٠ ، الإصابة ، جـ١ ص ٢٣٧ ، الاستيعاب ، جـ١ ص ٢١٢ .

(٢) الاستيعاب ، جـ١ ص ٢١١ .

(٣) سيمر تفصيل ذلك خلال الصفحات التالية .

(٤) في الإصابة : ٤٠ سنة ، وفي الاستيعاب : ٤١ سنة ، والأصح ٣٩ سنة ، لأنه أسن من علي بعشر سنين ، وعليٌّ أسلم وهو ابن ثماني سنوات وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، فهاجر وعمره إحدى وعشرون سنة ، ويوم مؤتة كان عمره ٢٩ سنة ، لأن مؤتة كانت سنة ٨ هـ ، ولما كان جعفر أسن من علي بعشر سنين فيكون عمره : ٢٩ + ١٠ = ٣٩ سنة .

وُجِدَ به بضع وسبعون جراحة، ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح، كلها فيما أقبل من بدنه.

قال عبد الله بن جعفر: كنت إذا سألت عَلِيّاً شيئاً فمنعني وقلت له: بحقّ جعفر، إلا أعطاني. وقال: كان عمر بن الخطاب إذا رأى عبد الله بن جعفر قال: السّلام عليك يا ابن ذي الجناحين.

☆ ☆ ☆

٣ ـ عَبْدُ اللهِ بنُ رَوَاحَة: «نِعْمَ الرجل عبد الله بن رواحة»:

عبد الله بن رَوَاحَة بن ثعلبة بن امرئ القيس الأكبر بن مالك الأَغَرّ بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، يكنّى أبا محمد، وأُمّه كَبْشة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة من بني الحارث بن الخزرج أيضاً[1]. وهو خال النعمان بن بشير.

وكان ممّن شهد العقبة، وكان نقيبَ ابن الحارث بن الخزرج، وشهد بدراً وأُحُداً والخندق والحديبية وخيبر وعمرة القضاء، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، إلاّ الفتح وما بعده لاستشهاده سنة ٨ للهجرة.

أَتى مرّة رسول الله ﷺ وهو يخطب، فسمعه يقول: «اجلسوا»،

---

(١) لترجمة عبد الله بن رواحة راجع: أُسد الغابة، جـ٣ ص٢٣٤، الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٢ ص٣٠٦، الاستيعاب في أسماء الأصحاب، جـ٢ ص٢٩٣.

فجلس مكانه خارجاً من المسجد حتى فرغ رسول الله ﷺ فقال له : « زادك الله حِرْصاً على طواعية الله وطواعية رسوله » .

وكان ابن رواحة دائماً أول خارج إلى الغزو وآخر قافل ، وكان من الشعراء الذين ينافحون عن رسول الله ﷺ . قال له رسول الله ﷺ مرَّة : « قل شعراً تقتضبه اقتضاباً[1] وأنا أنظر إليك » ، فقال من غير رويَّة :

إنِّي تَفَرَّسْتُ فيكَ الخَيْرَ أعرفُهُ
وَاللهُ يَعْلَمُ أنْ ما خانني البَصَرُ
أَنْتَ النَّبيُّ وَمَنْ يُحْرَم شَفَاعَتَهُ
يوم الحِسَابِ فقد أزرى[2] به القَدَرُ
فثبَّتَ اللهُ ما آتاكَ مِنْ حَسَنٍ
تَثْبِيت موسى ونَصْراً كالَّذي نُصِروا[3]

فقال له رسول الله ﷺ : « وأنت ، ثبتك الله يا ابن رواحة » ، فثبَّته الله أحسن الثَّبات ، فقتل في مؤتة شهيداً .

---

(١) اقتضاب الكلام : ارتجاله ، يقال : هذا شعر مقتضب ، وكتاب مقتضب ، لسان العرب ، جـ١ ص٦٨٠ .

(٢) أزرى به ازراءً : قَصَّرَ به وحقَّره وهَوَّنَه ، لسان العرب ، جـ١٤ ص٣٥٦ .

(٣) أورد ابن هشام ، جـ٤ ص٨ هذا البيت أوَّلاً .

قال أبو الدرداء[1] : أعوذ بالله أن يأتي عليَّ يوم لا أذكر فيه عبد الله بن رواحة ، كان إذا لقيني مُقْبلاً ضرب بين ثديَيَّ ، وإذا لقيني مُدْبراً ضرب بين كتفيَّ ، ثم قال : ياعويمر اجلس فلنؤمن ساعة ، فأقول له : أوَلَسْنا بمؤمنين ؟ فيجيب ابن رواحة : بلى ، ولكننا نذكر الله فنزداد إيماناً ، فنجلس فنذكر الله ماشاءَ ، ثم يقول : ياعويمر ، هذه مجالس الإيمان ، فقال ﷺ : « رحم الله ابن رواحة ، إنَّه يحبُّ المجالس التي تتباهى بها الملائكة »[2] .

ولما سار عبد الله بن رواحة إلى مؤتة ، كان زيد بن أرقم يتيماً في حِجْرِه ، فحمله في حَقيبة راحلته ، وخرج به غازياً ، فسمعه زيدٌ في الليل وهو يتمثَّل أَبياته التي يقول فيها :

إذا أدنيتِني[3] وحملتِ رَحْلي مسيرة أرْبَعٍ بعد الحِسَاءِ[4]
فَشَأْنُكِ فانعَمِي وَخَلاكِ ذَمٌّ ولا أرْجِعْ[5] إلى أهلي وَرَائي[6]

---

(١) عويمر بن عامر بن قيس بن أُميَّة الخزرجي الأنصاري ، أوَّل قاض بالشام ، توفي سنة ٣٢ هـ .

(٢) السِّيرة النبويَّة لابن كثير ، جـ ٣ ص ٤٨٧ .

(٣) في الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ص ١٥٩ : (أديتني) .

(٤) الحِسَاء : اسم موضع ، والحِسَاءُ : الماء القليل ، والحِسَاءُ مياه لبني فزارة بين الرَّبَذَة ونخل ، معجم البلدان ، جـ ٢ ص ٢٥٧ .

(٥) هنا دعاء ، فهو يدعو على نفسه أن يستشهد في سبيل الله .

(٦) يريد أنه لا يكلفها سفراً بعد ذلك ، وإنما تنعم مُطْلَقَة لعزمه على الموت في سبيل الله .

وجـاءَ المـؤمنـون وغـادَرُوني بـأَرضِ الشـامِ مشهـور الثَّـواء[1]
وَرَدَّكِ كلُّ ذي نسب قريب إلى[2] الرحمن منقطـعَ الإخـاء[3]
هنـالِـكَ لاأُبـالي طَلْـعَ بَعْـلٍ[4] ولا نَخْـلٍ أَسَـافلهـا رِوَاء[5]

فلما سمعه زيد بن أرقم بكى، فخفقه ابن رواحة بالدِّرَّة[6] وقال: ماعليك يالكع[7] أن يرزقني الله الشهادة، وترجع بين شعبتي[8] الرحل؟

ولزيد يقول عبد الله بن رواحة:

يازيدُ زيدَ اليَعْمَلاتِ الذُّبَّلِ[9] تطَاولَ الليلُ هُدِيتَ فَانْزِلِ[10]

---

(١) الثواء: اسم موضع، ولقد أورد الاكتفاء البيت كما يلي:
وجـاء المسلمـون وغـادروني بـأرض الشـام مشتهى الثَّـواء

(٢) في الكامل في التاريخ: من الرحمن منقطعَ الإخاء.

(٣) في الاكتفاء، جـ١ ص١٣٥/ب: إلى الرحمن منقطع الرجاء.

(٤) البعل: الذي يشرب بعروقه من الأرض.

(٥) الأبيات بالإضافة إلى مصادر حياة ابن رواحة، في: عيون الأثر، جـ٢ ص١٥٤، ابن هشام، جـ٤ ص١١، الكامل في التاريخ، جـ٢ ص١٤٩، الاكتفاء، جـ١ ص١٣٥/ب، السِّيرة النبويَّة لابن كثير، جـ٣ ص٤٦٠.

(٦) الدِّرَّة: التي يُضرب بها، عربية معروفة، وفي التهذيب: الدِّرَّة دِرَّة السلطان التي يضرب بها، لسان العرب، جـ٤ ص٢٨٢.

(٧) لَكِعَ الرجل يَلْكِعُ لكعاً ولَكاعة: لَؤُمَ وحَمُقَ، ويقال للصبي الصغير لُكَعٌ، لسان العرب، جـ٨ ص٣٢٢ و٣٢٣.

(٨) شعبتا الرحل: طرفاه، المقدم والمؤخر.

(٩) اليعملة: الناقة السَّريعة، الذبَّل: التي أضعفها السَّير.

(١٠) فانزل: يعني انزل فَسُقْ بالقوم.

قالت زوجه : كان إذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين ، وإذا دخل بيته صلى ركعتين ، لا يدع ذلك .

قال أبو الدرداء : « لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في اليوم الحار الشديد ، حتى إن الرجل ليضع من شدَّة الحرِّ يده على رأسه ، وما في القوم صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة » .

ومن أحسن ما مدح به رسول الله ﷺ :

لو لم تكن فيه آيات مبينة   كانت بديهته تنبيكَ بالخبر

ولما حضر خروج الجيش ، ودَّع الناسُ أُمراءَ رسول الله ، وسلَّموا عليهم ، فلما وُدِّعَ عبدُ الله بن رواحة مع من وُدِّع بكى ، فقالوا : ما يبكيك ياابن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بي حُبٌّ الدنيا ، ولا صَبابةٌ بكم ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار : ﴿ وَإِنْ مِنْكُم إلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً ﴾[1] ، فلست أدري كيف لي بالصَّدْرِ بعد الورود[2] .

فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وردَّكم إلينا صالحين ، فقال عبد الله بن رواحة :

---

(١) [مريم : ٧١] .

(٢) الورود هنا هو المرور على الصراط ، لأنَّه على متن جهنم ، الروض الأنف ، جـ٤ ص٧٨ .

لكنَّني أسْـــــأَلُ الرحمنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةً ذاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا[1]
أو طعنـةً بيَـدَي حَران مُجْهِـزَةً[2] بحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الأَحْشَـاءَ[3] والكَبِـدا
حَتَّى يُقَـالَ إذا مَرُّوا على جَـدَثي أرشدكَ اللهُ مِنْ غازٍ وَقَـدْ رَشَـدَا[4]

ولما ودَّع عبد الله بن رواحة رسولَ الله ﷺ قال :

خَلَفَ السَّـلامُ على امرئٍ وَدَّعْتُـهُ في النَّخْلِ خَيْرَ مُشَيِّـعٍ وَخَليـلِ[5]

وكان انطلاق القوم يوم جمعة ، فقدَّم عبد الله بن رواحـة أصحـابـه وقـال : أتخلَّف فـأُصلي مع رسـول الله ﷺ الجمعـة ثم ألحقهم . فَلَمَّـا صلى رسول الله ﷺ رآه فقال : مـا منعـك أن تغـدو مع أصحـابـك ؟ فقـال : أردت أن أُصلِّي معـك الجمعــة ثم ألحقهم ، فقــال رسـول الله ﷺ : « لـو أنفقتَ ما في الأرض جميعاً ماأدركتَ غَدْوتهم »[6] .

☆ ☆ ☆

---

(١) ذات فرغ : يعني ذات سعة ، والـزَّبـدا هنـا : رغـوة الـدم ، وفي الاكتفـاء ، جـ٢ ص١٣٥ / ب : وضربةً ذاتَ فَرْغ .

(٢) حران : الشديد ، ومجهزة : سريعة القتل .

(٣) تنفذ الأحشاء : تخترقها .

(٤) الكامـل في التـاريـخ ، جـ٢ ص١٥٨ ، الطبري ، جـ٣ ص٣٧ ، ابن هشـام ، جـ٤ ص٨ ، عيـون الأثر ، جـ٢ ص١٥٣ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ، جـ٢ ص١٢٨ .

(٥) السِّيرة النبويَّة لابن كثير ، جـ٣ ص٤٥٧ ، ابن هشام ، جـ٤ ص٩ ، الطبري ، جـ٣ ص٣٧ .

(٦) السِّيرة النبويَّة لابن كثير ، جـ٣ ص٤٥٧ ، السِّيرة النبويَّة والآثار المحمديَّة ، جـ٢ ص٢٧١ .

جيش الأمراء في البلقاء

☆ ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورونَ ، وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ ﴾ .

[الصافات : ١٧١ و١٧٢ و١٧٣]

ولما غادر جيشُ الأُمراء المدينةَ ، سمع الروم والعرب بمسيره فجمعا له ، وكانت خطة جيش الأُمراء أن يفاجئ المسلمون الروم والعرب ، ويأخذوهم على غرة ، ولكنهم علموا بنبأ المسلمين ، فأخذوا يستعدون له استعداداً بالغاً غايته ، في عدد الرجال ، وفي آلات القتال .

لقد جمع شُرَحبيل بن عمرو عدداً كبيراً من العرب[1] ، وقدَّم الطلائع أمامه تجاه مُعَان وقد نزلها المسلمون ، وبلغ هرقل خبر جيش المسلمين ، فأرسل جيشه[2] الذي جاء معه ليؤدّي فريضة الحج في

---

(١) قدَّرت المصادر العربية عدد العرب بمئة ألف مقاتل ، وهذا رقم على الأرجح مبالغ فيه .

(٢) كما قدَّرت المصادر العربية عدد الروم بمئة ألف أيضاً ، وأقل رواية ذكرت أن الروم كانوا مئة ألف ، ومن العرب خمسون ألفاً (الروض الأُنف) . ونحن نقول : إن عدد جند الروم والعرب لا شك أنه كان أضعاف عدد جند المسلمين ، واحد إلى عشرة على الأقل ، وسبب رفضنا الرقم =

القدس، وللاحتفال باسترداد الصليب الأكبر بعد هزيمة الفُرْس .

وهكذا .. سار الروم وعليهم ابن أبي شبرة الغسَّاني .

وسار معهم من انضم إليهم من العرب من لخم وجِذام والقَيْن وبَهْراء وبلِى، عليهم رجل من بلى يقال له : مالك بن زافلة من بني أراشة، وسار الروم والعرب بحشد كبير عظيم نزل مُعَان .

ولكن لماذا هذا الجَمْع كله ؟

أهو الفزع من قوة المسلمين الخارقة، والتي ارتجت لها أرجاء جزيرة العرب ؟ والتي لم تستطع قوة جيش الأحزاب مجتمعة أن تنال منها ؟!

أَمْ هي سمعة المسلمين المنتصرة على حصون اليهود على مناعتها وقوتها ؟ تلك الحصون التي لم تثبت أمامهم رغم قلة المسلمين وكثرة اليهود وعُدَدِهم ومؤونتهم واستعداداتهم ؟

أَمْ هي دعوة رسول الله ﷺ هرقل - وملوك وأمراء عصره - إلى اتباعه، وهرقل في أوج انتصاره، فتصوَّروا أن قوة لا قبل لهم بها قد جاءت إليهم ؟

= الأوّل - مئة ألف من العرب، ومئة ألف من الروم - سَيُوضَّح من خلال استخلاص نتائج هذه المعركة في الصفحات الأخيرة من هذا الكتاب .

والجواب المعقول : إن التساؤلات الثلاثة مجتمعة هي السبب في هذا الحشد الضخم الذي سيواجهه ثلاثة آلاف من المسلمين فقط .

☆ ☆ ☆

بلغ المسلمين جمعُ الروم والعرب ، فأقاموا على مُعَان ليلتين اثنتين ينظرون في أمرهم ، فقال بعضهم : نكتب إلى رسول الله ﷺ ، نخبره بِعَدَدِ عدوِّنا ، فإمّا أن يَمُدَّنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له .

وشجَّع الناسَ عبدُ الله بن رواحة وقال : يا قوم ، والله إن التي تكرهون للَّتي خرجتم تطلبون ، الشَّهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، وما نقاتلهم إلاَّ بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنَّما هي إحدى الحُسْنَيَيْن ، إما ظهورٌ وإما شهادة . فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة ، فمضى الناس[1] .

وفي هذا دليل واضح على فرط شجاعة الصحابة رضي الله عنهم ، وقوَّة قلوبهم ، واعتمادهم على ربِّهم ، وعدم مبالاتهم بأنفسهم لأنهم باعوها لله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ

---

(١) الاكتفاء ، جـ١ ص١٣٥ / ب ، ابن هشام ، جـ٤ ص٩ ، ابن خلدون ، جـ٢ ص٤١ ، طبقات ابن سعد ، جـ٢ ص١٢٩ ، السِّيرة الحلبيَّة ، جـ٢ ص٧٧ ، السِّيرة النبويَّة والآثار المحمديَّة ، جـ٢ ص٢٧١ ، عيون الأثر ، جـ٢ ص١٥٤ ، السِّيرة النبويَّة لابن كثير ، جـ٣ ص٤٥٩ ، الطبري ، جـ٣ ص٣٧ .

الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ في سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً في التَّوْراةِ وَالإنْجِيلِ وَالقُرآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾[1] .

ولقد وقر في قلوبهم إيمان صادق بالله ، واطمأنَّت عليه نفوسهم ، فاستنارت أرواحهم ، وعشقت إحدى الحُسْنَيَين : إما نصر وإما شهادة ، مع الثقة التامة ، واليقين الكامل بقول الله عزَّ وجل :

﴿ إنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَومَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾[2] .

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المُرْسَلِينَ ، إنَّهُمْ لَهُمُ المَنْصُورُونَ ، وَإنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ ﴾[3] .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إلى قَوْمِهِمْ فَجَاؤوهُم بِالبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ ﴾[4] .

وقال عبد الله بن رواحة في موقفهم هذا :

---

(١) [التوبة : ١١١] .

(٢) [غافر : ٥١] .

(٣) [الصافات : ١٧١ و١٧٢ و١٧٣] .

(٤) [الروم : ٤٧] .

جَلَبْنـا الخيلَ من أَجـأ[1] وفرعٍ[2] تَعُرُّ[3] من الحشيشِ لهـا العكُومُ[4]

حَـذَوْنـاهـا من الصـوَّان سِبْتـاً[5] أَزَلّ كأَنَّ صفحتَـــــــه أديمُ[6]

أقـــامت ليلتين على مُعَـــان[7] فـأعْقبَ بَعْـدَ فَتْرتهـا جُمُـومُ[8]

فَرُحْنـا والجِيَـادُ مُسَـوَّمـاتٌ[9] تَنَفّسَ في مَنَـاخِرِهـا سُمـومُ[10]

فـلا وأَبي مَـآبَ[11] لنـأْتِيَنْهـا وإنْ[12] كانت بهـا عَرَبٌ وَرومُ

فعبَّـانـا أعنتّهـا فجـاءت عـوابسَ والغبـارُ لهـا بريمُ[13]

---

(١) أجأ: أحد جبلي طيء، والآخر سلمى.

(٢) فرع: أطول جبل بأجأ وأوسطه، وفي الاكتفاء، جـ١ ص١٣٦ / ١: فرغ.

(٣) تعر: تطعم وتشبع، وفي (الروض الأُنف) جـ٤ ص٧٩: (تَغُرُّ: يجمع بعضهـا إلى بعض)، (وهي تغر في معجم البلدان، جـ٥ ص١٥٣ أيضاً).

(٤) العكوم: جمع عكم، وهو الجانب.

(٥) حذوناها: جعلناها نِعَالاً من حديد، والصوَّان: الحجارة الملس، والسِبْت: النِّعال التي تُصْنَع من الجلود المدبوغة.

(٦) الأزل: الأملس، والأديم: الجِلْد.

(٧) مَعَان: بالفتح، والمحدّثون يقولونه بالضم، والمعان: المنزل، وهي مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء، معجم البلدان، جـ٥ ص١٥٣.

(٨) الفترة: السكون والضّعف، والجموم: اجتماع القوّة.

(٩) الجياد المسوَّمات: الجياد المرعيَّة، المعلَّمة، المُرْسَلَة، (مختار الصحاح: ٣٢٢).

(١٠) سُموم: جمع سَمٍّ، وهما عرقان في خيشوم الفَرَس، والسَموم بفتح السين: ريح حارة، وفي ابن هشام، ومعجم البلدان: في مناخرها السُّموم.

(١١) مَآب: مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء، معجم البلدان، جـ٥ ص٣١.

(١٢) في الطبري: «ولو كانت بها عرب وروم».

(١٣) البريم: كل ما فيه لونان مختلطان، والدمع المختلط بالأثمد، وفي الروض الأُنف: البريم: خيط تحتزم به المرأة، والبريم: لفيف الناس، ويقال: هم بريمان: أي لونان مختلطان.

بــذي لَجَبٍ كأن البَيْضَ فيــه إذا برزت قَـوَانِسُهـا النجـومُ[1]
فراضِيَــة المعيشــةِ[2] طلَّقتهــا أَسِنَّتُنــــا[3] فَتَنْكِــحُ أو تئيمُ[4]





---

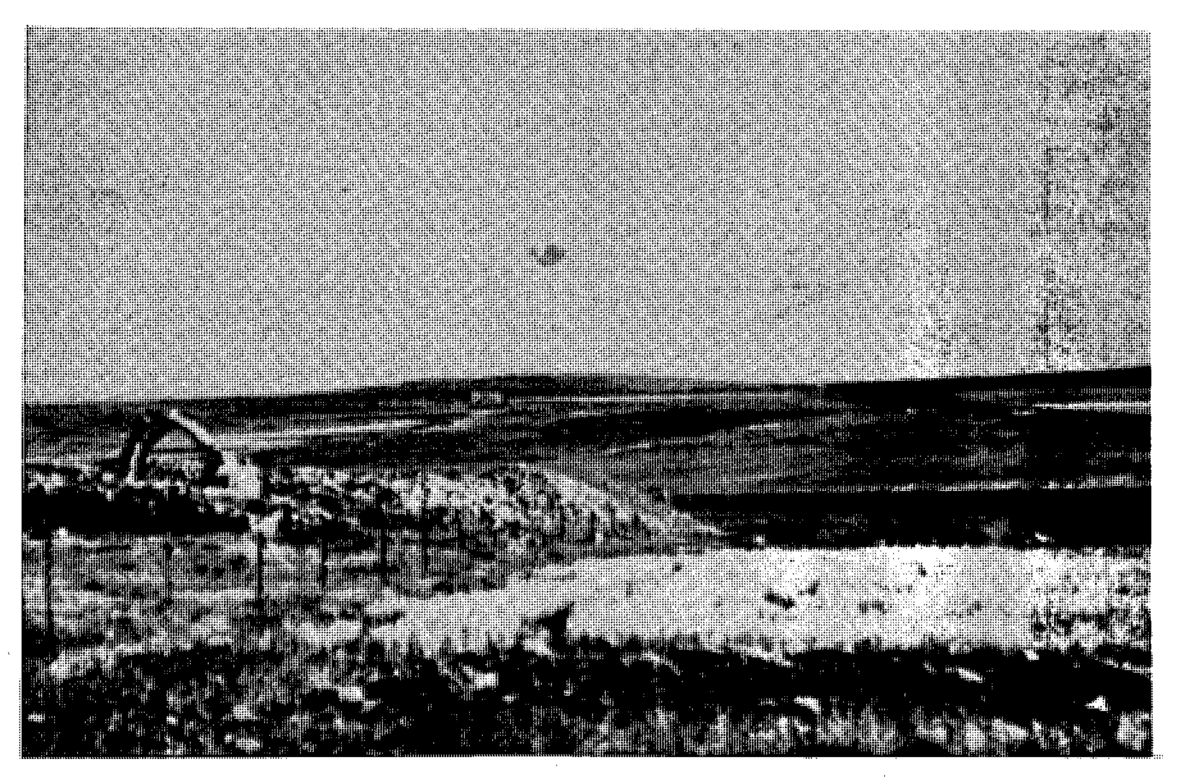
(١) اللجب: اختلاط الأصوات من كثرة الجيش، والقوانس: جمع قونس وهو على بيضة الحديد، والبيضة: الخوذة.

(٢) راضية المعيشة: العيشة اللينة المطمئنة.

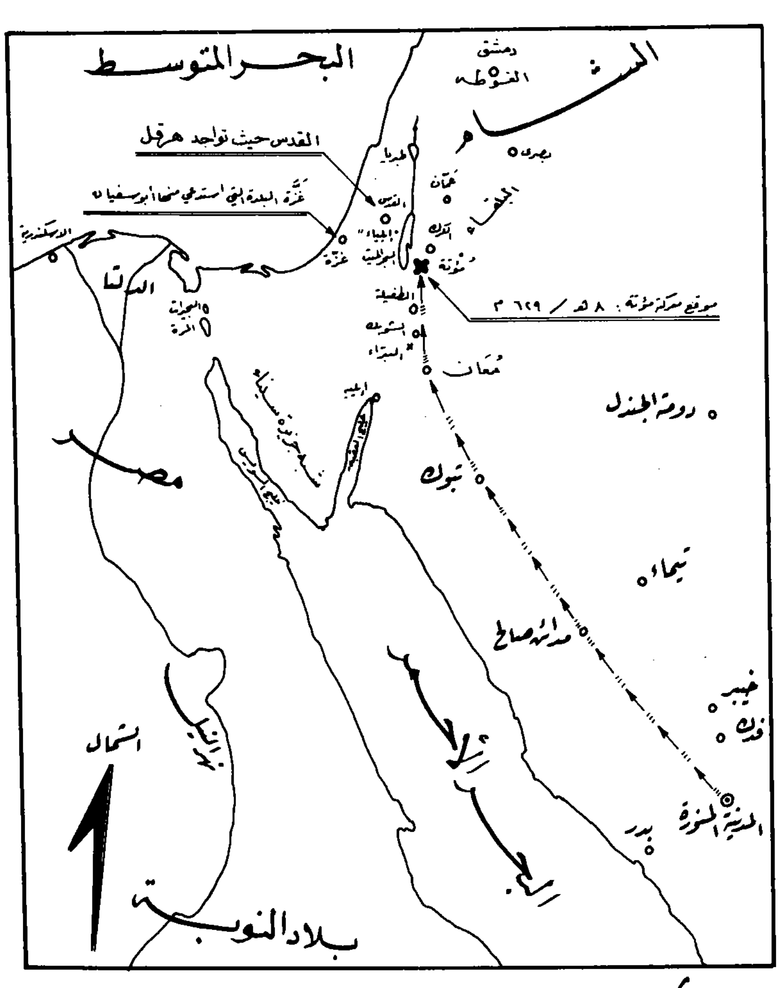
(٣) سِنَان الرُّمح، جمعه أسِنَّة (مختار الصحاح ص٣١٧)، وهي الحديدة التي في رأس الرمح.

(٤) تئيم: تبقى دون زوج، يريد أنهم قد تجافوا عن الدعة والراحة.

☆ والأبيات في: الاكتفاء، جـ١ ص١٣٦ / أ، الطبري، جـ٣ ص٣٨، ابن هشام، جـ٤ ص٨ و١٠، السِّيرة النبوية لابن كثير، جـ٣ ص٤٥٧، معجم البلدان، جـ٥ ص١٥٣، الروض الأُنف، جـ٤ ص٧٩. (ولم يذكر ياقوت الحموي في معجمه البيت الأخير).



السهل الذي جرت عليه معركة مؤتة وتظهر من بعيد التلال التي انسحب إليها خالد بن الوليد



خط سير جيش الأمراء من المدينة المنورة إلى مؤتة



☆ (سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دُقَّ في يدي يوم مُؤْتَة تسعة أسياف ، فما بقي في يدي إلاَّ صَفِيحَةٌ يمانيَّة) .

قيس بن أبي حازم

وتقدَّم المسلمون ، حتى إذا كانوا بتخوم البَلْقاء ، لقيتهم جموع هرقل من الروم(١) ، والعرب المتنصِّرة(٢) ، بقرية من قرى البَلْقاء يقال لها : مَشَارف ، ثم دنا العدو ، فانحاز المسلمون إلى قرية مُؤْتَة ، فالتقى الجمعان عندها .

تعبئة المسلمين :

وتعبَّأ المسلمون في مُؤْتة ، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عُذْرة

---

(١) جموع هرقل : أي جيش هرقل الذي جاء معه للحج ، وكانت هذه الجموع الروميَّة بقيادة ابن أبي شبرة الغسَّاني .

(٢) بقيادة مالك بن رافلة ، وانسحبت منهم قبيلة حَدَس ـ من لَخْم ـ لقول كاهنتهم لما سمعت بجيش رسول الله ﷺ مقبلاً : أُنذِرُكم قوماً خُزْراً ؛ جمع أخزر : وهو الذي ينظر بمؤخَّر عينه ، ينظرون شَرراً (نظرة العداوة) ، ويقودون الخيل بُتراً (متتابعة) ، ويُهريقون دَماً عَكَراً (المتعكِّر) ، فأخذوا بقولها ، فاعتزلوا من بين لَخْم ، فلم يزالوا بعد أثْرى حَدَس ، [الطبري ، جـ٣ ص٤١ ، ابن هشام ، جـ٤ ص١٦] .

يقال لـه : قُطبـة بن قتـادة[1] ، وجعلوا على ميسرتهم رجلاً من الأنصـار يقال له : عَبَايَة بن مالك[2] .

وقال أبو هريرة : شهدت مُؤتة ، فلما دنا منا المشركون رأينا مـا لا قِبَل لأحد من العُدَّة والسِّلاح والكُرَاع[3] والديبـاج والحرير والـذهب ، فبرق بصري ، فقال لي ثابت بن الأرقم : يا أبا هريرة ، كأنَّك ترى جموعـاً كثيرة ؟ فقلت : نعم ، قـال : إنـك لم تشهـد بـدراً معنـا ، إنَّـا لم نُنْصَر بالكثرة .

ثم التقى الناسُ فاقتتلوا ، فقاتل زيد بن حـارثـة برايـة رسول الله ﷺ حتى شاط[4] في رماح القوم .

---

(١) وقد حمل قُطبة على مالك بن رافلة قائد المُسْتَعْرِبَة فقتله ، وقال في قتله :

طَعَنْتُ ابن رافلـة الرائشي ... برُمْـح مَضَى فيـه ثُمَّ انْحَطَمْ

ضربت على جيـدِهِ ضَرْبَـةً ... فـالَ كما مـالَ غُصْنُ السَّلَمْ

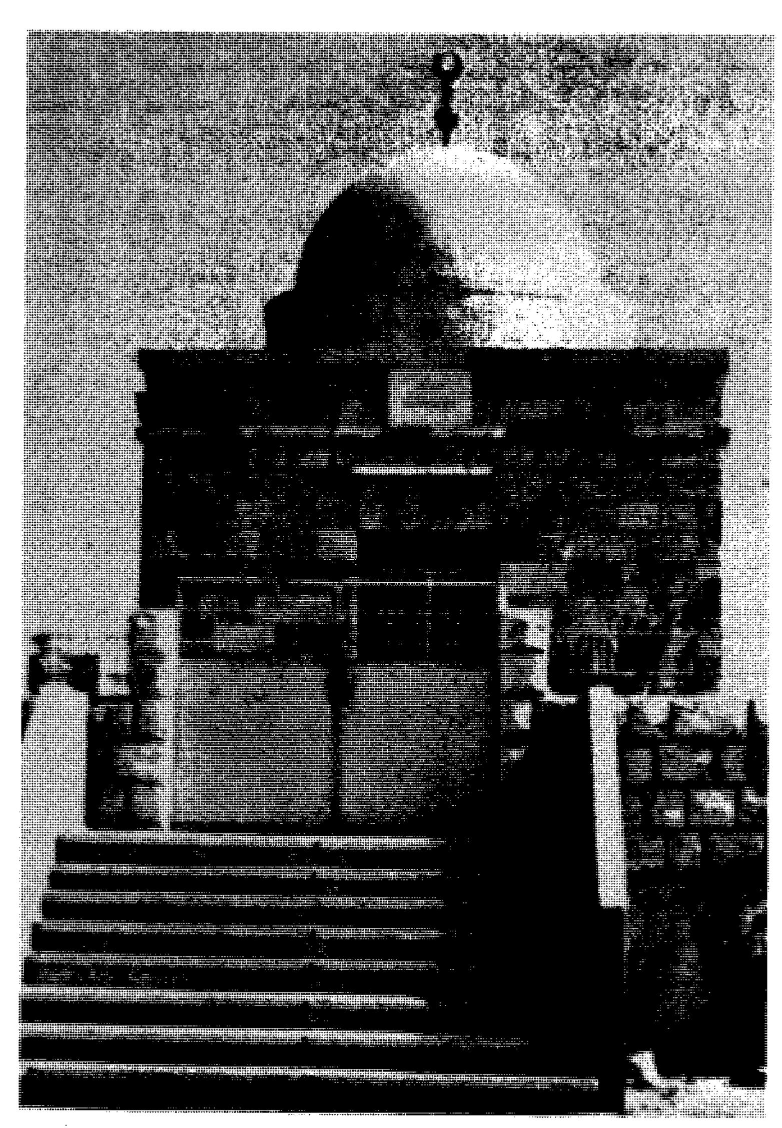
وَسُقْنَـا نِسَـاءَ بني عَمِّـهِ ... غَـدَاة رقـوقين سَـوْق النَّعَمْ

انحطم : انكسر ، غصن السَّلَم : نوع من الشجر ، وورقه القرظ الذي يـدبغ بـه الأديم ، رقوقين : اسم موضع . (أُسد الغابة ، جـ٣ ص ١٧٠) .

(٢) عَبَاية بن مالك الأنصاري ، قـال ابن هشـام : ويقـال لـه : عُبَـادَةَ بن مـالـك . (أُسـد الغـابـة ، جـ٤ ص٤٠٧) .

(٣) الكُرَاع : بالضم في البقر والغَنَم ، والكُرَاع اسم يجمع الخيل . (مختار الصحاح : ٥٦٧) .

(٤) شَـاطَ دم فـلان أي ذهب ، والإشـاطـة : الإهـلاك ، لسـان العرب ، جـ٧ ص ٣٣٨ ، والمراد هنـا استشهد في رماح القوم .



مقام زيد بن حارثه

ثم أخذها جعفر بن أبي طالب فقاتل الروم حتى قُتِل، وكان جعفر أَوَّلَ رجل من المسلمين عَقَرَ في الإسلام.

نزل عن فَرَسٍ له شَقْراء ثم عقرها[1]، ثم قاتل القوم حتى قُتِل وهو يقول[2]:

يا حبَّذا الجنة واقترابها ... طيِّبةٌ وباردٌ شَرَابُهَا
والرومُ رومٌ قد دَنَا عَذابُهَا ... كافِرَةٌ بَعِيدةٌ أَنسابُهَا
عَلَيَّ إنْ لاقَيْتُها ضِرابُهَا[3]

وذكر ابن هشام أن جعفر أخذ اللواء بيمينه فَقُطِعَت، فأخذه بشِماله فقطعت، فاحتضنه بِعَضُديه حتى قُتِل رضي الله عنه، فأثابه الله عز وجل بذلك جناحين في الجنَّة يطير بهما حيث يشاء. ويقال: إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه نصفين[4].

---

(١) عقر الفرسَ والبعير بالسَّيف عَقْراً: قطع قوائمه، أو نحرها. (لسان العرب، جـ٤ ص٥٩٢)، وقال السُّهيلي: ولم يعب ذلك عليه أحد، فدل علىَ جواز ذلك إذا خيف أن يأخذها العدو فيقاتل عليها المسلمين، ولم يدخل هذا في باب النهي عن تعذيب البهائم وقتلها عبثاً. ونرى أن جعفراً عقر فرسه دليل شجاعته، لقد أراد أن يثبت لنفسه ألاَّ عودة إلى أهله عليها، فالشهادة هدفه، وهي محققة.

(٢) الاكتفاء، جـ١ ص١٣٦ / أ، ابن هشام، جـ٤ ص١٢، عيون الأثر، جـ٢ ص١٥٤، السِّيرة الحلبيَّة، جـ٣ ص٧٨، السِّيرة النبويَّة لابن كثير، جـ٣ ص٤٦١، الكامل في التاريخ، جـ٢ ص١٥٩، الطبري، جـ٣ ص٣٩.

(٣) في الكامل في التاريخ، جـ٢ ص١٥٩: «عَلَيَّ إذ لاقيتها ضرابها».

(٤) السِّيرة النبويَّة لابن كثير، جـ٣ ص٤٦٢.

مقام جعفر بن أبي طالب

وأخذ الراية عبد الله بن رواحة، ثم تقدَّم بها وهو على فَرَسه وهو يقول:

أَقسمتُ يا نفسُ لَتَنْزِلنَّهْ ... لتنزلنَّ[1] أو لَتُكْرَهنَّهْ
إن أجلبَ الناسُ وشدُّوا الرَّنَّهْ[2] ... ما لي أراكِ تكرهينَ الجَنَّهْ؟
قد طالما قد كنتِ مُطْمَئِنَّهْ ... هل أَنْتِ إلا نُطفة في شَنَّهْ؟[3]

وقال أيضاً:

يا نفسُ إن لم تُقْتَلي تموتي ... هذا حِمامُ الموتِ قد صَليتِ[4]
وما تمنَّيتِ فقد أُعطيت[5] ... إنْ تفعلي فِعْلَهُمَا هُديتِ[6]
وَإنْ تَأَخَّرْتِ فَقَدْ شَقيتِ

ثم نزل، فلما نزل أتاه ابن عم له بِعرقٍ من لحم، فقال: شُدَّ بهذا صُلْبك، فإنَّكَ قد لقيتَ في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده،

---

(١) في الكامل في التاريخ، جـ٢ ص١٦٠: «طائِعَةً أو فلتكرهنَّه»، وكذلك في الطبري، جـ٣ ص٣٩.

(٢) الرَّنَّه: صوت فيه ترجيع شبه البكاء، وأجلب: اجتمع.

(٣) النطفة: الماء القليل الصافي، والشنَّه: القِرْبة القديمة.

(٤) في الكامل في التاريخ، جـ٢ ص١٦٠: «صليتي»، وفي الاكتفاء، جـ١ ص١٣٦/ أ: «هذا حِمَامُ..» أمَّا في أُسد الغابة، جـ٣ ص٢٣٤: «هذا حِياضُ..».

(٥) في الكامل في التاريخ، جـ٢ ص١٦٠: «أُعطيتي».

(٦) فعلهما: يريد صاحبيه زيداً وجعفراً.

فانتهش منه نَهْشَةً[1] ، ثم سمع الحَطْمة[2] في ناحيـة الجيش ، فقـال : وأنت في الدنيا !؟ ثم ألقاه من يـده ، ثم أخـذ سيفـه وتقـدَّم ، فقـاتل حتى قُتِلَ رضي الله عنه .

فـأخـذ الرايـة ثـابت بن أَقْرَم[3] رضي الله عنـه وقــال : يــا معشر المسلمين ، اصطلحـوا على رجـل منكم ، فقـالـوا : أنت . فقـال : مــا أنــا بفاعل ، ودفع الراية إلى خالد بن الوليد وقـال : أنت أعلم بـالقتـال مني ، فقال له خالد : أنت أحق به مني لأنَّك ممن شهد بـدراً . فنـادى ثـابت : يا معشر المسلمين ، فـاجتمع النـاس على خـالـد بن الوليـد رضي الله عنـه وسلَّموه الراية فأخذها .

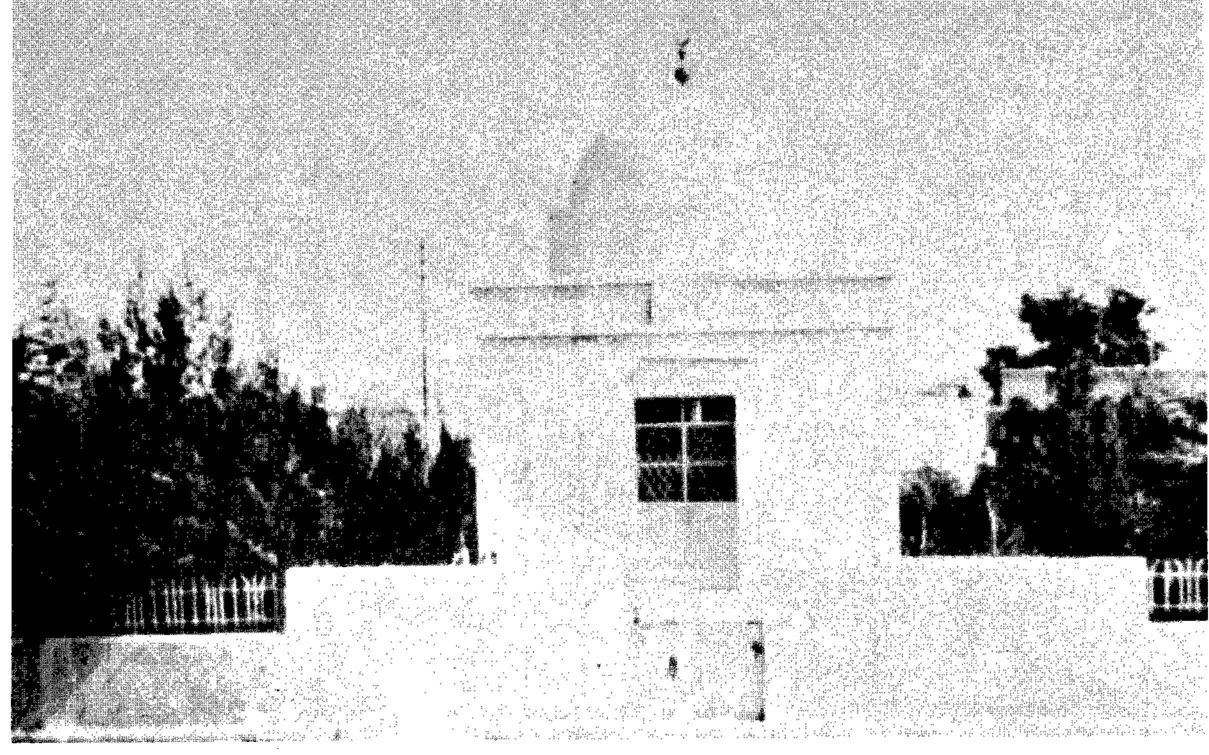
وهـذا خُلُقٌ إسـلامي رفيـع عظيم ، أن يتنـازل العـالِمُ إلى الأَعْلَم ، والحسن إلى الأَحْسَن ، والجيِّد إلى الأجود ، والتنازل هنا لتحقيق مصلحة عـامَّـة ، هي فـوق المـآرب الشخصيَّـة ، وأسمى من حـظ النفس وحبِّهـا الإمارة ، وهذا لا يكون إلاَّ من رجال تعمَّق الإيمـان في نفوسهم ، وسكن الإسلام الصحيح في قلوبهم .

---

(1) فانتهش منه نهشة ، أو فانتهس منه نهسة ، نَهَسَتْهُ الحَيَّةُ مثلُ نَهَشَتْه ، (مختار الصحاح ، ص ٦٨٢) .

(2) الحَطْمة : النزال والمضاربة . والحطمة من أسماء النار لأنها تحطم ما تلقى ، (مختار الصحاح ، ص ١٤٣) .

(3) ثابت بن أَقْرَم بن ثعلبة بن عدي بن العَجْلان ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وشهد مُؤْتَة ، استشهد سنة إحدى عشرة في قتال أهل الردّة ، (أُسد الغابة ، جـ١ ص ٢٦٥) .



مقام عبد الله بن رواحة

رسول الله ﷺ يَصِفُ المعركة :

«الآنَ حَمِيَ الوَطِيسُ» :

وصعد ﷺ المنبر في المدينة المنوَّرة ، وأمر فنودي « الصلاة جامعة » ، ونظر المسلمون إليه فإذا بعينيه تذرفان ، فعلموا أن أمراً عظيماً وقع أحزن رسول الله ﷺ .

قال ﷺ ، بعد أن كشف الله له ما بينه وبين الشام ، فهو ينظر إلى ميدان المعركة ، ـ وهذا ما يُسمَّى في علم الروح الجلاء البصري ـ فقال : «أُخبركم عن جيشكم هذا ، إنَّهم انطلقوا فلقوا العدوَّ، أخذ الرايةَ زيدُ بن حارثة فقاتل بها حتى قُتِل شهيداً ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قُتِل شهيداً ، استغفروا لأخيكم فإنَّه شهيد دخل الجنة ، وهو يطير في الجنَّة بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنَّة » . ثم صمت رسول الله ﷺ برهة حتى تغيَّرت وجوه الأنصار ، وظنُّوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون .

وهنا تذكر بعض الروايات أن الشيطان جاء عبد الله وحبَّب إليه الحياة وكَرَّه إليه الموت ، وحبَّب إليه الدنيا ، فقال : الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين تحبِّب إليَّ الدنيا ؟! فمضى قُدُماً حتى استُشهِد ، فاستغفر له رسول الله ﷺ وقال : « أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل

بها حتى قُتِل شهيداً »[1] ، فكبَّر الأنصار حتى ارتجت جنبات المسجد النبوي الشريف طرباً وسروراً بهذا الفوز الكبير، وبهذا الشرف العظيم.

ثم قال ﷺ : « لقد رُفِعوا إلى الجنَّة فيما يرى النائم على سُرُرٍ من ذهب، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن سريرَيْ صاحبيه[2] ، فقلت : عمَّ هذا ؟ فقيل لي : مضيا وتردَّد عبد الله بن رواحة بعض التردُّد ثم مضى » ، فَسُرِّي عن الأنصار[3] .

سَيْفُ الله :

ثم قال رسول الله ﷺ : « أَخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم » .

« اللّهم إنَّه سيف من سيوفك أنت تنصره ، بابُ خَيْرٍ، بابُ خير، الآن حَمِيَ الوَطِيسُ »[4] ، فمن يومئذ سُمِّي خالد (سيف الله) .

---

(١) شهد ﷺ بالشهادة لهم.

(٢) ولنا تعليق على هذا في خاتمة هذا الكتاب.

(٣) الاكتفاء، جـ١ ص١٣٦ / أ، السِّيرة النبوية لابن كثير، جـ٣ ص٤٦٣، ابن هشام، جـ٤ ص١٤، الكامل في التاريخ، جـ٢ ص١٦٠، ابن خلدون، جـ٢ ص٤١، السِّيرة الحلبية، جـ٣ ص٧٨، الطبري، جـ٣ ص٤١، عيون الأثر، جـ٢ ص١٥٥، ابن سعد، جـ٢ ص١٢٩.

(٤) أي حميت الحرب واشتدت. والوطيس: التَّنُّور (مختار الصحاح، ص٧٢٧).

وقدم يَعْلَى بن أُميَّة[1] على رسول الله ﷺ بخبر أهل مُؤتة، فقال له ﷺ: «إن شئت فأخبرني، وإن شئت أُخبرك؟» قال: أخبرني يا رسول الله، فأخبره ﷺ بخبرهم كله ووصفه لهم، فقال: والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره، وإن أمرهم لكما ذكرت، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله رفع لي الأرض حتى رأيت مُعْتَرَكهم»[2].

واعتبر (موير) الرواية التي ذكر فيها أن رسول الله ﷺ أخبر بما حدث في ساحة القتال قبل أن يصله الخبر خرافة، لأن الخبر كان قد وصل رسول الله من أَوَّل رسول أرسله خالد بن الوليد إلى المدينة، وعلى ذلك فليست هناك معجزة كما يقول المسلمون[3].

ولكن (موير) لم يعلِّق شيئاً على معجزة رسول الله ﷺ التي تنبَّأ فيها بإصابة زيد وجعفر وعبد الله بن رواحة قبل أن يذهبوا إلى الحرب، وقد أُصيبوا جميعاً بالترتيب كما ذكر. فكان عليه ـ للأمانة التاريخية ـ وهو مؤرِّخ، أن يدلي برأيه صريحاً في هذه المسألة، لا أن يذكرها بلا تعليق، ويغض الطرف عنها، والحقيقة أنه لما رأى أن هذه

---

(١) يَعْلَى بن أُميَّة التيمي الحنظلي، في رأي أنَّه شهد بدراً ـ وهو ضعيف ـ.

(٢) الاكتفاء، جـ١ ص١٣٦/ ب، السِّيرة النبوية لابن كثير، جـ٣ ص٤٦٨، السِّيرة الحلبية، جـ٣ ص٧٩، عيون الأثر، جـ٢ ص١٥٥.

(٣) (محمد رسول الله) لمحمد رضا، ص٢٩٩.

المعجزة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار لم يشأ أن يقرّها ويعترف بها .

وغاب عن (موير) أن رسول الله ﷺ لما جمع المسلمين وأخبرهم خبر الجيش ، لم يصل إليه رسول خالد إلا بعد أيام ، وهي مدَّة تراجع خالد ووصول يعلى بن أُمية إلى المدينة من مُؤْتَة ، وهي مدَّة تحتاج على الأقل أُسبوعاً !!

ارتداد خالد :

استشهد ابن رواحة مساءً ، فأخذ الراية خالد بن الوليد فبات يحكم خطته لتدارك الموقف غير المتوازن ، فقام بالأعمال التالية ، ليضمن ارتداداً مأموناً لا خسائر فيه :

١ً ـ جعل الخيل طيلة الليل بحركة دائمة تجري بحركة دائرية ، مُصْدِرَة أصواتاً ، ومثيرة غباراً كثيفاً .

٢ً ـ جعل مقدِّمة الجيش ساقته ، وساقته مقدمته ، وميمنته ميسرة ، وميسرته ميمنة . فأنكر الروم في صباح اليوم التالي ما كانوا يعرفون من رايات المسلمين وهيئتهم ، وقالوا : قد جاءهم مَدَدٌ ، فهبطت معنوياتهم ، ورعبوا رعباً شديداً .

٣ً ـ كما جعل ـ رضي الله عنه ـ طائفة من الجيش يثيرون الغبار ،

ويكثرون الجلبة عند طلوع النهار، ونشر الجند على طول جبهة عريضة، فكادت تملأ الأُفق.

٤ً - وشكّل مؤخّرة قويّة لحماية الانسحاب، ولتثبيط مطاردة العدو إن حصل.

٥ً - وجعل منذ الصباح هدفه ارتداداً مأمون العواقب، فبدأ بتراجعه شيئاً فشيئاً. فظن الروم والعرب أنّه يستدرجهم إلى الصحراء.

وتراجع خالد بن الوليد بالمسلمين، حتى خلّصهم من الروم والعرب المتنصِّرة، بعد قتال شديد، قال قيس بن أبي حازم: سمعت خالد بن الوليد يقول: لقد دُقّ في يدي يوم مُؤْتَة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صَفِيحةٌ يمانية[1].

وورد: «دافع القومَ وخاش[2] بهم، ثم انحازوا وانحيز عنهم، حتى انصرف الناس».

لقد استطاع خالد بن الوليد تحقيق انسحاب مدروس منظّم، مع حماية دقيقة لمؤخرة الجيش، وإلا لانقلب الانسحاب إلى هزيمة منكرة

---

(١) الصّفِيحةُ: السَّيف العريض، قال ابن سيده: الصّفيحة من السُّيوف العريضة، لسان العرب، جـ ٢ ص ٥١٣.

(٢) المحاشاة: المحاجزة، وهي مفاعلة من الخشية، لأنّه خشي على المسلمين لقلّة عددهم، ومن رواه حاش بهم، معناه انحاز بهم.

وخسائر كبيرة، وكارثة محتملة. فالارتداد المأمون «أصعب من النصر في بعض المآزق، لأن النصر ميسور مع اجتماع العُدَّة، واحتمال الشِّدَّة فيه، ولكن الارتداد المأمون غير ميسور لكل من يريده وهو في أضعف الموقفين، إلا أن تكون له - للقائد - خبرة القيادة تكافئ الرجحان في قوة العدو الذي يرتد بين يديه»[1].



(١) صور من حياة الرسول، ص ٥٢٠. وفي التاريخ الحديث: انسحب الإنكليز أمام جيوش الألمان في موقعة دَنْكِرك، فافتخروا لأنَّهم استطاعوا الارتداد في الحرب العالمية الثانية، حتى سموه: (الهزيمةُ المنتَصِرَة).

«أنا فئة المسلمين»

☆ «بل أنتم الكرّارون، أنا فئتكم».

رسول الله ﷺ

قال عبد الله بن عمر: كنت في سريّة من سرايا رسول الله ﷺ، فحاص[1] الناسُ وكنت فيمن حاصَ، وهذه الفئة حاصت لما رأت جموع الروم أضعاف الأضعاف، فإنهم كانوا ثلاثة آلاف، وكان العدو على ما ذكره مئتي ألف[2]، ومثل هذا يسوّغ في إعادة الحساب والانسحاب، فتراجع عدد قليل، وثبت المسلمون، وفتح الله عليهم.

وقال ابن عمر: فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا[3] بالغضب؟ ثم قلنا: لو دخلنا المدينة قُتلنا، ثم قلنا: لو عرضنا أنفسنا

---

(١) الحَيْصُ: الحَيْدُ عن الشيء، حاصَ عنه يحيصُ حَيْصاً: رَجَع، وحاصوا عن العَدُوّ: انهزموا، ويروى فجاضَ جَيْضَة: معناهما واحد، أي جالوا جولة يطلبون الفرار، والمعنى هنا: عَدَل وحادَ، والهرب من الجيش، لسان العرب، جـ٧ ص١٩ و٢٠.

(٢) هذا الرقم فيه مبالغة، ولكنه يثبت أن المسلمين لما خاضوا غمار معركة مُؤْتة كانوا على يقين أن عدد جيش عدوّهم مئتا ألف مقاتل، وهم ثلاثة آلاف فقط، وفي هذا غاية الشجاعة، ومنتهى الجرأة، وفيه حبهم وحرصهم رضي الله عنهم على الشهادة في سبيل الله عز وجل.

(٣) بؤنا: رجعنا، ﴿وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ﴾: رجعوا به. (مختار الصحاح، ص٦٨).

على رسول الله ﷺ ، فإن كانت لنا توبة ، وإلاّ ذهبنا . فأتيناه قبل صلاة الغداة ، فخرج فقال : « من القوم ؟ » ، قال : قلنا : نحن الفرّارون ، فقال ﷺ : « لا بل أنتم العكّارون ، أنا فئتكم ، وأنا فئة كل مسلم » . قال ابن عمر : فأتيناه حتى قبّلنا يده[1] .

وقالت أُم سلمة زوج النبي ﷺ لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة : ما لي لا أرى سلمة يحضر الصّلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين ؟ قالت : ما يستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به النّاس : يا فُرّار ، فررتم في سبيل الله ، حتى قعد في بيته ، ما يخرج ، وكان في غزاة مُؤْتة .

ولما اقترب الجيش من المدينة المنوّرة ، تلقّاهم رسول الله ﷺ والمسلمون ، وكان رسول الله ﷺ مقبلاً مع المسلمين على دابّة ، وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ، ويقولون : يا فُرّار ، فررتم في سبيل الله ؟ فقال ﷺ : « بل أنتم الكرّارون ، أنا فئتكم » ، وهذا معناه أن انسحاب جيش مُؤتة لم يكن هزيمة أمام عدو ، بل تحيُّزاً إلى فئة المسلمين ، ولا حرج في هذا ، يقول عز وجل في محكم التنزيل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفَاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ، وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ

(١) السّيرة النبويّة لابن كثير، جـ٣ ص ٤٧٠ .

فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ﴾[1] .

ولقي الجيش من أهل المدينة جفاءً ولوماً شديداً ، حتى إن الرجل يجيء إلى أهل بيته يدق بابه فيأبون يفتحون له ، ويقولون له : هلاّ تقدّمت مع أصحابك فقُتِلْت ؟ حتى أن نفراً من الصحابة رضي الله عنهم جلسوا في بيوتهم استحياءً ، كما مرّ في حديث أُمّ سَلَمة .



أَسْمَاءُ بنت عُمَيْس :

ودخل رسول الله ﷺ على أسماء بنت عُمَيس زوج جعفر بن أبي طالب ، تقول أسماء : وقد عجنت عجيني ، وغسلت بَنِيّ ودهنتهم ونظّفتهم ، فقال رسول الله ﷺ : « ائتني ببني جعفر » ، فأتيته بهم فشمّهم وذرفت عيناه ، فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأُمي ، ما يبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال ﷺ : « نعم أُصيبوا[2] هذا اليوم » ، قالت : فقمت أصيح ، واجتمع إليّ النساء ، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال : « لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً ،

---

(١) [الأنفال : ١٦ و١٧] .

(٢) أُصيبوا : استشهدوا وماتوا .

فإنَّهم قد شُغِلُوا بأمر صاحبهم»[1] .

فصنعت سلمى مولاة رسول الله ﷺ طعاماً ، فعمدت إلى شعير فطحنته ونسفته ثم طبختـه وأدمتـه بزيت ، وجعلت عليـه فلفلاً ، قال عبد الله بن جعفر : فأكلت من ذلك الطعام ، وحبسني رسول الله مع إخوتي في بيته ثلاثة أيام ندور معه ﷺ كلما صار في بيت إحدى نسائه .

وهذا هو أصل طعام التَّعزِيـة ، وتسمِّيه العرب الوضيمة ، كما تسمِّي طعام العرس الوليمة ، وطعام القادم من السَّفر النقيعة ، وطعام البناء الوكيرة[2] .

وتقول عائشة : لما أتى نَعْيُ جعفر عرفنا في وجه رسول الله ﷺ ، الحزنَ ، قالت : فدخل عليه رجل فقال : يا رسول الله ، إن النساء عنَّيْننا وفَتنَّنا ، قال : «ارجع إليهن فأسكتهن» ، قالت : فذهب ثم رجع فقال له مثل ذلك ، قالت : وربما ضَرَّ التكلُّف ـ يعني أهله ـ ، قالت : قال : «فاذهب فأسكتهن ، فإن أَبَيْن فاحثُ في أفواههن التراب» .

---

(١) وفي رواية السِّيرة النبويَّة لابن كثير، جـ٣ ص٤٧٥ : «اصنعوا لآل جعفر طعاماً ، فقد أتاهم أمرٌ يشغلهم» أو: «أتاهم ما يشغلهم» ، ابن هشام ، جـ٤ ص١٤ ، الكامل في التاريخ ، جـ٢ ص١٦١ ، الاكتفاء ، جـ١ ص١٣٦/ ب .

(٢) السِّيرة الحلبيَّة ، جـ٣ ص٧٩ ، السِّيرة النبويَّة والآثار المحمديَّة ، جـ٢ ص٢٧٦ ، الروض الأُنف ، جـ٤ ص٨١ .

ثم أمهل رسول الله ﷺ آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم، عن أسماء أن رسول الله ﷺ قال لها لما أُصيب جعفر: «تسلَّبي ثلاثاً ثم اصنعي ما شئت». فيحتمل أنه أذن لها في التسلُّب ـ وهو المبالغة في البكاء وشق الثياب ـ من باب التخصيص لها بهذا لشدة حزنها على جعفر أبي أولادها، ثم تصنع بعد ذلك ما شاءت مما يفعله المعتدّات على أزواجهن من الإحداد المعتاد.

ثم أتاهم ﷺ فقال: «لا تبكوا على أخي بعد اليوم، ادعوا لي بني أخي»، فجيء بهم كأنَّهم الفراخ فقال: «ادعوا لي الحلَّاق»، فجيء بالحلاَّق فحلق رؤوسهم، ثم قال ﷺ عن ابني جعفر محمد وعبد الله: «أمَّا محمد فشبيه عمنا أبي طالب، وأما عبد الله فشبيه خَلْقي وخُلُقي»، ثم أخذ ﷺ بيد عبد الله بن جعفر فرفعها وقال: «اللّهم اخلف جعفراً في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه»، قالها ثلاثاً.

وجاءت أسماء فذكرت لرسول الله ﷺ يُتْمَ الأطفال، وجعلت تحزنه، فقال ﷺ: «العيلةَ تخافين عليهم وأَنا وليهم في الدنيا والآخرة؟».

أَسماء بنت عُمَيس ترثي زوجها:

فَآلَيْتُ لا تَنْفَكُّ نَفْسِي حَزِينَةً ... عَلَيْكَ وَلاَ يَنْفَكُّ جِلْدي أَغْبَرا
فَللّهِ عَيْناً من رأى مِثْلَهُ فتى ... أَكرّ وأَحْمى في الهياج وَأَصْبَرا

ثم لم تنشب أن انقضت عدتها، فخطبها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فتزوجها، فأَوْلَم وجاء الناس للوليمة، فكان فيهم علي بن أبي طالب، فلما ذهب النَّاس استأذن عليّ أبا بكر رضي الله عنه في أن يكلِّم أسماء من وراء حجاب، فأذن له، فلما اقترب من الستر نفحه ريح طيبها، فقال عليّ لها (على وجه البَسْط والدُّعابة): من القائلة في شعرها: فآليت .. البيتان ؟

قالت رضي الله عنها: دعنا منك يا أبا الحسن، فإنَّك امرؤ فيك دعابة[1].

☆ ☆ ☆

مما قيل من الأَشعار في غزوة مُؤْتَة:

قال حسان بن ثابت يرثي شهداء مُؤْتة:

تأَوَّبني ليلٌ بيثربَ أَعْسَرُ[2] — وهمٌّ إذا ما نوّم الناسُ مُسْهِرُ
لذكرى حبيب هيَّجت لِيَ عبرةً — سَفُوحاً[3] وأسبابُ البكاء التذكُّرُ
بَلَى إنَّ فقدانَ الحبيبِ بَلِيَّةٌ — وكم من كريم يُبتَلى ثم يصبرُ

(١) السِّيرة النبويَّة لابن كثير، جـ٣ ص٤٧٨.

(٢) أعسر: بمعنى: عسر، وفي التنزيل: ﴿يوم عسر﴾، وفيه أيضاً: ﴿عسير﴾، والمعنى متقارب. الروض الأُنف، جـ٤ ص٨٢.

(٣) العبرة: الدمع، وسَفَحَ الماءَ هَرَاقَه، وسَفَحَ دمه سَفَكه، مختار الصحاح، ص٣٠٠.

رأيتُ خيارَ المسلمين تواردوا شَعُوباً[1] وخلفاً بعدهم يتأخَّرُ

فلا يُبْعدن اللهُ قتلَى تتابعوا[2] بمُؤتة منهم ذو الجناحين جَعْفَرُ

وزيدٌ وعبدُ الله حين تَبايَعُوا[3] جميعاً وأسْبابُ المنيَّةِ تخطُرُ[4]

غداةَ مضَوا بالمؤمنينَ يقودهم إلى الموتِ مَيْمُونُ النَّقيبةِ[5] أزْهَرُ

أغَرُّ كضَوء البدر من آل هاشم أبِيٌّ إذا سِيم الظُّلامَة مُجْسِرُ[6]

فطاعَنَ حتى مالَ غير مؤسّد[7] بمعتركٍ فيه القنا متكسِّرُ

فصار مع المستشهدين ثوابُهُ جِنانٌ ومُلتفُّ الحدائقِ أخضرُ

وكنا نرى في جعفرٍ من محمَّد وفاءً وأمراً حازماً حين يَأمرُ

وما زال في الإسلام من آل هاشمٍ دعائمُ عِزٍّ لا يَزُلْنَ وَمفْخَرُ

هُمُ جَبَلُ الإسلام والناسُ حولهم رِضَام[8] إلى طود يَروق ويَبْهَرُ[9]

بَهَاليلُ منهم جعفرٌ وابن أُمِّهِ عَلِيٌّ ومنهم أحمدُ المتخيَّرُ

---

(1) شَعَبَ الشيء: فرَّقه، وشَعَبَه أيضاً جَمَعَه، وهو من الأضداد، مختار الصحاح، ص ٣٣٨.

(2) تَبِعَهُ: إذا مشى خلفه أو مرَّ به فمضى معه. مختار الصحاح، ص ٧٤.

(3) في السِّيرة النبويَّة لابن كثير، جـ٣ ص ٤٩١: «تتابعوا».

(4) المنيَّة: الموت، تخطر: تشرف على الهلاك، مختار الصحاح، ص ١٨٠.

(5) اليُمْنُ: البركة، والميمون: المبارك، ميمون النقيبة: مبارك النفس، (مختار الصحاح، ص ٦٧٤).

(6) (جَسَرَ) على: أقْدَمَ، والجَسُور: المِقْدام، (مختار الصحاح، ص ١٠٣).

(7) غير مؤسد: المراد هنا غير مكره، المؤسِدُ: الكلاَّب الذي يُشْلي كلبه للصيد يدعوه ويغريه، لسان العرب، جـ٣ ص ٧٢.

(8) الرضام: صخور عظام يوضع بعضها فوق بعض.

(9) في ابن هشام، جـ٤ ص ١٨: «ويقهر».

وحمــزة والعبـــاس منهم ومنهمُ عَقِيلٌ ومـاءُ العُودِ من حيث يُعْصَرُ

بهم تُفْرَج الَّـلأواءُ[1] في كل مَـأْزقٍ عَمَاسٍ[2] إذا ما ضاق بالناس مَصْدرُ

هُمُ أوليـــاء الله أنــزلَ حُكْمَــهُ عليهم وفيهم ذا الكتـــابُ المطهَّرُ

وقال كعب بن مالك رضي الله عنه :

نَـامَ العُيُونُ ودمعُ عينـك يَهْمـلُ سَحّاً كما وكفَ الطِّبَابُ المُخَصلُ[3]

في ليلــةٍ وردت عَلَيَّ همـومُهـا طـوراً أَحِنُّ وتـــارةً أَتَمَلْمَـــلُ

واعتـــادني حـــزنٌ فبتُّ كأنني ببنـات نَعْشٍ والسِّماك[4] مـوكَّـلُ

وكأنَّما بين الجـوانـح والحَشَـــا ممـا تـأَوَّبني شِهـاب مُـدْخَـلُ

وَجْـداً على النفر الـذين تَتَـابَعُـوا يـومـاً بمُؤْتـة أَسْنـدوا لم يُنْقلـوا

صَلَّى الإلـــهُ عليهِمُ من فتيــةٍ وسَقَى عظـــامَهمُ الغمامُ المسْبَــلُ

صبروا بِمُـؤتــة لـلإلـــه نفوسَهُم حَذَرَ الرَّدى ومخـافـةً أن يَنْكلُوا[5]

---

(1) الَّلأواء : الشِّدَّة والمشقة ، لسان العرب ، جـ ١٥ ص ٢٣٨ .

(2) العماس : المظلم .

(3) الطِّباب : جمع طبـابـة وهي سير في أسفل القربـة ، فـإذا كانت غير محكمـة وَكَفَ ـ رشح ـ منهـا الماء .

(4) بنات نعش والسِّماك : أسماء نجوم ، وهي : بنات نعش الكبرى : سبعة نجوم تشاهد جهة القطب الشمالي ، والصغرى : سبعة نجوم قرب بنـات نعش الكبرى ، والسِّماك : همـا سماكان ، نجمان نيّران أحدهما في الشمال ويُعرف (بالرامح) ، والثاني في الجنوب ويعرف (بـالأعزل) ، والمعنى المراد في البيت : أنه من طول سهره بات يرعى النجوم .

(5) الرَّدى : الموت ، ونَكَلَ عن العدوِّ : جَبُنَ ، (مختار الصحاح ، ص ٦٧٩) .

فمضَـوا أمـــامَ المسلمين كأنهم   فُنقٌ عليهن الحـديـدُ المرفَـلُ[1]

إذ يهتـــدون بجعفرٍ ولــوائِـــهِ   قُـــــدامَ أَوَّلِهم فنعمَ الأَوَّلُ

حتى تفرَّجت الصفـــــوفُ وجعفر

حيث التقى وَعْث[2] الصفـوف مُجَـدَّلُ[3]

فتغيَّر القمرُ المنيرُ لِفَقْــــدِهِ   والشمسُ قد كُسِفت وكادت تَأْفُلُ[4]

قِرْمٌ[5] عــلا بنيـانُــهُ من هــاشم   فرعــاً أَشمَّ وسـؤدداً مـا يُنقــلُ

قَــوْمٌ بهم عصمَ الإلـــهُ عبـــادَهُ   وعليهمُ نــزل الكتـــاب المُنْــزَلُ

فَضَلـوا المَعَـاشرَ[6] عـزَّةً وتكرمـاً   وتغمَّــدت أحـلامُهم مَنْ يَجْهَـلُ

لا يُطْلقون إلى السفـاه حِبـاهُمُ[7]   ويرى خطيبهمُ بِحَـقٍّ يَفْضُـــلُ

بيضُ الوجـوه ترى بطـونَ أكفهم   تَنْدى إذا اعتـذَر الزمـانُ المُمْحِلُ

وبهَـــدْيِهم رضي الإلـــه لخَلْقِــهِ   وبجَـــدِّهم نُصِرَ النبيُّ المُرْسَــلُ

وقال حَسَّان بن ثابت يبكي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه :

ولقـد بكيتُ وعـزَّ مَهْلِكُ جعفرٍ   حِبِّ النبيِّ على البريَّـــةِ كُلِّهـــا

---

(١) الفنق : فحول الإبل جمع فنيق ، وهو الجمل المُكْرَم الذي لا يُرْكَب ، والمرفل : السَّابغ .

(٢) الوعث : الاختلاط والالتحام .

(٣) المُجَدَّل : المُلْقى بالجَدَالة وهي الأرض ، لسان العرب ، جـ١١ ص١٠٤ .

(٤) أَفَلَ : غاب ، (مختار الصحاح ، ص١٩) .

(٥) القَرْم : السَّيِّد ، (مختار الصحاح ، ص٥٣٢) .

(٦) المَعَاشِرُ: جماعات الناس ، (مختار الصحاح ، ص٤٣٤) .

(٧) الحِبَاءُ : العطاء ، (مختار الصحاح ، ص١٢١) .

ولقـد جَزِعْتُ وقلت حين نُعِيتَ لي   مَنْ للجلادِ لدى العُقَابِ[1] وظِلِّها
بالبِيضِ[2] حين تُسَلُّ من أغمادها   ضرباً وإنْهالِ الرماحِ وعَلِّها[3]
بعدَ ابن فاطمة المبارك جعفرٍ   خيرِ البريَّةِ كُلِّها وأجلِّها :
رُزْءاً وأكرمها جميعاً مَحْتِداً[4]   وأعزِّها متظلَّماً وأذلِّها :
للحق حين ينوب غير تنحُّلٍ[5]   كذباً وأنْداها يداً وأقلِّها[6] :
فُحْشاً وأكثرها إذا ما يُجْتَدَى[7]   فضلاً وأنْداها يداً وأبلِّها :
بالعُرْفِ غير محمَّدٍ لا مثلَهُ   حَيٌّ من أحياء البريَّةِ كُلِّها

وقال حسَّان بن ثابت يرثي زيد بن حارثة وابن رواحة :

عَيْنُ جودي بدمعك المَنْزورِ[8]   واذكري في الرَّخاء أَهْلَ القُبُورِ

---

(١) العقاب : اسم الراية ، وهي من رايات رسول الله ﷺ .
(٢) البيض : السُّيوف ، مفرده : الأبيض ، (مختار الصحاح ، ص ٧١) .
(٣) الإنهال : الشرب الأوَّل ، والعَلَل : الشرب الثاني ، يقال : عَلَلٌ بعد نَهَلٍ ، (مختار الصحاح ، ص ٤٥١) .
(٤) مَحْتِداً : حَتَد بالمكان يحتِدُ حَتْداً : أقام به وثبت ، والمَحْتِدُ : الأصل والطبع ، والحَتِدُ : الخالص من كل شيء ، لسان العرب ، جـ٣ ص ١٣٩ .
(٥) النِحْلَةُ : الدَّعوى ، ونَحَلَهُ : أضاف إليه قولاً قاله غيره وادعاه عليه ، (مختار الصحاح ، ص ٦٤٩) .
(٦) جاء في ابن هشام ، جـ٤ هامش ص ٢٠ : في هذا البيت والبيتين اللذين قبله والبيت الذي بعده تضمين ، فقوله : وأذلها ، ثم قال في أوَّل بيت آخر : للحق ، وكذلك قال في البيت الآخر : وأقلها ، وقال في الذي بعده : فحشاً .
(٧) الاجتداء : طلب المعروف .
(٨) المنزور : القليل ، والمراد هنا : نزرت الرجل إذا ألححت عليه ، ونزرت الشيء إذا استنفدته .

واذكري مُؤْتَةً وما كان فِيهَا ... يوم راحوا في وَقْعةِ التَّغويرِ[1]

حين راحوا وغادروا ثمَّ زيداً ... نعم مأوى الضَّريك[2] والمأسورِ

حِبُّ خير الأنامِ طُرّاً جميعاً ... سَيِّدُ الناس حُبُّه في الصدورِ

ذاكُمُ أحمدُ الذي لا سواه ... ذاك حُزني له معاً وسروري

إنّ زيداً قد كان منّا بأمرٍ ... ليس أمرَ المكذِّبِ المغرور

ثم جُودي للخزرجيِّ[3] بِدَمعٍ ... سيداً كان ثمّ غيرَ نَزُورِ[4]

قد أتانا من قَتْلهم ما كَفانَا ... فَبِحُزْنٍ نَبيتُ غير سرورِ

وقال شاعر من المسلمين ممَّن رجع من مؤتة مع من رجع رضي الله عنهم:

كفى حُزْناً أَني رجعتُ وجعفرٌ ... وزيدٌ وعبدُ الله في رَمْسٍ أَقْبُرِ

قضَوا نحبَهم لَمّا مضَوا لسبيلهم ... وخُلِّفْتُ للبَلْوى مع المتغيِّرِ

ثلاثةُ رهط قَدِمُوا فتقدَّموا ... إلى ورد مكروه من الموتِ أحمرِ[5]



---

(١) التغوير: إتيان الغَوْر، وغور كل شيء قَعْرُه، والغور أيضاً المطمئنُّ من الأرض (مختار الصحاح، ص٤٨٤) والمراد هنا معركة مُؤْتَة التي كانت قرب الغور.

(٢) الضَّريك: الفقير.

(٣) يعني عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي.

(٤) النزور: قليل العطاء. النَّزْرُ: القليل التافه، وعَطَاءٌ مَنْزُور: أي قليل، (مختار الصحاح، ص٦٥٤).

(٥) الأبيات السابقة كلُّها في: الاكتفاء، جـ١ ص١٣٦/ ب و١٣٧/ أ، وابن هشام، جـ٤ ص١٧ و١٨ و١٩، الروض الأُنف، جـ٤ ص٨٢، السِّيرة النبويَّة لابن كثير، جـ٣ ص٤٨٢ و٤٨٣ و٤٨٥ و٤٩١.

خاتمة

نتائج وملاحظات

☆ جيشُ الأُمراء سَرِيَّةٌ كان لا بُـدَّ منهـا لإعلام الأعراب والروم على حَدٍّ سـواء، أن الإسـلامَ حريصٌ على ألاَّ تُنْتَقَصَ هيبَتُهُ في أيَّة ناحيَة.

☆ وبعد أن عرضنا أحداث (مُـؤْتَـة)، تخطر لنا بعض الأَسئلة:

لماذا سَيَّر رسول الله ﷺ هذا الجيش، وهو يعلم أَنَّه سيستشهد فيه زيد وجعفر وعبد الله؟ : «زيد بن حارثة أمير الناس، فإن قُتِلَ زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن قُتِلَ جعفر فعبد الله بن رواحة، فإن قُتِلَ عبد الله بن رواحة فَلْيَرْتَضِ المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم».

وقال النعمان بن فَنْحَص اليهودي لرسول الله ﷺ: أبا القاسم، إن كنتَ نبياً، فلو سَمَّيت من سَمَّيت قليلاً أو كثيراً أُصيبوا جميعاً، إنَّ الأنبياء من بني إسرائيل كانوا إذا سمَّوا الرجلَ على القوم فقالوا: إن أُصيب فلان ففلان، فلو سَمَّوا مئةً أُصيبوا جميعاً. ثم قال ابن فنحص

لزيد : اعْهَد ، فإنك لا ترجع أبداً إن كان محمداً نبيّاً . ويجيب زيد رضي الله عنه : أشهد أنه نبيٌّ صادق بارٌّ، ﷺ .

إن استشهاد الأُمراء الثلاثة شرف كبير لهم أولاً .

وإرسال الجيش أمْرٌ لا بُدَّ منه ثانياً ، لا بُدَّ لإعلام الأعراب والروم على حَدٍّ سواء ، أن الإسلام حريص على ألاَّ تُنْتَقص هيبته في أَيَّة ناحية . فالسكوت عن قتل رسولِ رسولِ الله الحارث بن عُمَير الأزدي على يد شُرَحبيل بن عمرو الغسَّاني قبول بتطاول ستكون أَصداؤه سيئة بسمعة المسلمين ، وقبول بانتهاك حرمة الإسلام بشخص سفيره الحارث ، ستكون عواقبه حرجة حسَّاسة ، فسيشعر من خلال ذلك ـ الأعراب والروم ـ أن الإسلام يمكن النيل منه بسهولة دون عقاب .

لما سبق .. إن إرسال جيش الأمراء إرسال يعيد إلى الإسلام هيبته ، يشعر من خلاله الأعراب الذين وصفهم الله عز وجل في محكم التنزيل : ﴿ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَماً وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ، عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ واللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] ، من كان منهم في جزيرة العرب ، ومن كان منهم تحت نفوذ الروم ، أَنَّ الإسلام قوة لا يستهان بها ، ولا يمكن التطاول عليها .

---

(١) [التوبة : ٩٨] .

إن قرار رسول الله ﷺ بإرسال جيش الأمراء إلى مؤتة حيث قتل الحارث بن عُمَير الأزدي، إرسال جيش لتأديب مُعْتَـدٍ، وغسل لما لحق بالمسلمين من مهانة في شخص سفيرها. وأمام هذا الواقع لا بُدَّ من التضحية، ولا تنهض أمة ولا تَسُود، ولا ينتشر مبدأ ولا يُعْتَنَق إلاّ بتضحيات، وبخاصة وأن النتائج المحقَّقة أعظم من التضحية، فمن استشهد أكرمه الله بمجد الشهادة، وبكرامة قربه مع الأنبياء والصِّدِّقين، ومن عاش، عاد بعزَّة وكرامة وهيبة الجانب.

☆ وكم عدد من استشهد من المسلمين في مُؤْتَة ؟

لقد استشهد من المسلمين اثنا عشر رجلاً فقط، وهذا من عناية الله بالإسلام وأهله، ومزيد إعزازه ونصره لهم، وهم:

١ ـ جعفر بن أبي طالب.
٢ ـ زيد بن حارثة.
٣ ـ عبد الله بن رواحة.
٤ ـ مسعود بن الأسود[1] بن حارثة بن نضلة.
٥ ـ وهب بن سعد بن أبي سرح.
٦ ـ عباد بن قيس.

---

(١) في عيون الأثر، جـ٢ ص١٥٦: مسعود بن الأوس بن حارثة بن نضلة.

٧ ـ الحارث[1] بن النعمان بن أساف بن نضلة .

٨ ـ سراقة بن عمرو بن عطية .

٩ ـ أبو كليب بن عمرو بن زيد بن عوف .

١٠ ـ وأخوه جابر بن عمرو بن زيد بن عوف .

١١ ـ عمرو بن سعد بن الحارث .

١٢ ـ وأخوه عامر بن سعد بن الحارث[2] .

وهذه الخسارة القليلة تثبت أن عدد الروم والعرب المتنصِّرة أقل من مئتي ألف مقاتل ، وإلاّ لكانت الخسائر أعظم وأكبر بكثير.

☆ وهل انتصر المسلمون في مُؤْتَة ؟

اعتبر المؤرخون غزوة مُؤْتَة[3] نصراً للمسلمين وفتحاً واضحاً لهم ، لإحاطة العدو بالمسلمين ، وتكاثر الروم والأعراب عليهم ، فكان مقتضى العادة والحال هذه ، أن يُقْتَلُوا بالكليَّة .

وكانت خسائر الروم أضعاف خسائر المسلمين ، مما جعل الهدف من الغزوة محقَّقاً ، بالإضافة إلى اطلاع المسلمين على إمكانات الروم

---

(١) في عيون الأثر، جـ٢ ص١٥٦ : الحرث بن النعمان بن أساف بن نضلة .

(٢) راجع عيون الأثر، جـ٢ ص١٥٦ ، الاكتفاء ، جـ١ ص١٣٧ / ب ، ابن هشام ، جـ٤ ص٢١ .

(٣) إنها من السرايا ، وليست من الغزوات ، سمَّاها البخاري غزوة مُؤْتَة لكثرة جيش المسلمين فيها ، وإن لم يخرج فيها رسول الله ﷺ ، فعُرِفت عند المؤرخين باسم : (غزوة مُؤْتَة) .

القتالية، ودراسة طبيعة أرضهم ونظمهم في القتال.

ويؤيِّد انتصار المسلمين في مُؤْتَة قول عوف بن مالك الأشجعي: خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين في غزوة مُؤْتَة، ووافقني مَدَدِيٌّ[1] من اليمن ليس معه غير سيفه، فنحر رجل من المسلمين جزوراً، فسأله المَدَدِيُّ طابقة[2] من جلده، فأعطاه إيَّاه، فاتخذه كهيئة الدَّرقة[3]، ومضينا فلقينا جموعَ الروم وفيهم رجل على فرس له أشقر، عليه سَرْج مُذَهَّب، وسلاح مُذَهَّب، فجعل الرومي يُفْري[4] بالمسلمين، وقعد له المدديُّ خلف صخرة، فمرَّ به الرومي فعرقب فَرَسَهُ[5]، فخرَّ وعلاه فقتله، وحاز فرسه وسلاحه، فلما فتح الله للمسلمين بعث إليه خالد بن الوليد، فأخذ من السَّلَب، قال عوف: فأتيته فقلت: يا خالد، أما علمت أن رسول الله ﷺ قضى بالسَّلَب للقاتل؟ قال خالد: بلى، ولكني استكثرته، فقال عوف: لتردَّنَّه إليه أو لأُعَرِّفنكها عند رسول الله ﷺ، فأبى خالد أن يردَّ عليه.

---

(١) يعني رجلاً من المدد الذين جاؤوا يمدُّون المسلمين.

(٢) المراد هنا قطعة من جلد، والطَّبَقة في اللغة المفصل، أو العظم الرقيق، أو الفقرة.. لسان العرب، جـ١٠ ص٢٠٩ و٢١٠ و٢١١.

(٣) الدَّرَقَةُ: الجَحَفَةُ، الترس، (مختار الصحاح، ص٢٠٣).

(٤) فَرَى الشيءَ: قطعه، وأَفْرَى الشيءَ: شقَّه فانفرى، وتَفَرَّى أي انشق، (مختار الصحاح، ص٥٠٢).

(٥) عَرْقَبَ الدابة: قطع عُرْقُوبها، العُرْقوب عصب خلف الكعبين، (لسان العرب، جـ١ ص٥٩٤).

قال عوف : فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ فقصَصْتُ عليه قِصَّة المَدَدِيِّ، وما فعل خالد ، فقال رسول الله ﷺ : « يا خالد رُدَّ عليه ما أخذت منه » ، فقال عوف : دونك يا خالد ، ألم أَفِ لك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « وما ذاك ؟ » يقول عوف : فأخبرته[1] ، فغضب رسول الله ﷺ وقال : « يا خالد لا تردَّ عليه ، هل أنتم تاركو أُمرائي ؟ لكم صفوة أمرهم وعليهم كدره ؟ » .

إن القاتل استحق السَّلب ، ويجوز أنَّه أخذه فيما بعد ، وإنما أخَّره تأديباً لعوف حين أطلق لسانه في خالد ، وانتهك حرمته ، وتطييباً لقلب خالد بعد تجرُّؤ عوف عليه . مع ما في تأخير دفعه من إكرام الأمير ، والطلب منه باحترام وتأدُّب .

☆ وسطر المسلمون في مُؤْتَة صفحات من البطولة نادرة :

١ ـ عبد الله بن رواحة : يا قوم ، والله إن التي تكرهون لَلَّتي خرجتم تطلبون الشَّهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلاَّ بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطَلِقُوا فإنَّما هي إحدى الحُسْنَيَيْن ، إما ظهورٌ وإما شهادة .

---

(١) بما تحدَّاه به في مُؤْتَة ، من إبلاغ النبي ﷺ وتهديده له .

فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة ، فمضى الناس .

٢ ـ ولما سمع زيدُ بن أرقم عبدَ الله بن رواحة ينشد أبياته : « إذا أدنيتني وحملتِ رَحْلي .. » ، بكى ، فخفقه عبد الله بالدِّرَّة وقال : ما عليك يا لكع أن يرزقني الله الشهادة ، وترجع بين شعبتي الرحل ؟

٣ ـ وتقدم جعفر بن أبي طالب بعد أن عقر فرسه ، فلما قطعت يمينه أخذ اللواء بشماله ، فلما قطعت شماله احتضنه بِعَضُديه حتى قتل رضي الله عنه . لقد وجد المسلمون في جسم جعفر فيما بين صدره ومنكبيه وما أَقبل منه تسعين جراحة ، ما بين ضربة سيف وطعنة رمح .

وعُرِض على جعفر الماء قبل أنِ تصعد روحه إلى بارئها ، فقال : إني صائم ، ضعوه في ترسي عند رأسي ، فإن عشت حتى تغرب الشمس أفطرت ، فمات رضي الله عنه لساعته قبل غروب الشمس شهيداً .

٤ ـ وأعطى عبدَ الله بن رواحة ابنُ عم له عرقاً من لحم وقال له : شُدَّ بهذا صُلْبك ، فإنَّك قد لقيتَ في أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده فانتهش منه نهشة ، ثم سمع النزال والمضاربة في ناحية الجيش ، فقال : وأنت في الدنيا ؟ ثم أَلقاه من يده ، ثم أخذ سيفه وتقدَّم ، فقاتل حتى قُتِلَ رضي الله عنه .

٥ ـ وقبيل المعركة قال عقبة بن عامر رضي الله عنه : يا قوم ، يُقْتَل الإنسان مقبلاً أحسن من أن يقتل مُدْبراً .

ولا ننس صورة الجيش عندما عاد إلى المدينة المنوَّرة والناس يقولون : يا فُرَّار، فررتم في سبيل الله ؟ ويقول لهم أبناؤهم وأزواجهم : هلاّ تقدَّمت مع أصحابك فقُتِلْت ؟ وهذه صورة رائعة لفهم الأُمَّة كلها لقيمة الشهادة وعظيم قدرها ، وإلى أَيَّة مرحلة وصل رسول الله ﷺ بتربيته لأُمة العرب .

☆ ☆ ☆

وَأَخيراً . .

يرى الأستاذ أمين دويدار في صور من حياة الرسول : أن في تردُّد ابن رواحة رضي الله عنه حين أخذ الراية بعد جعفر نظراً . فلم يذكر هذا التردد البيهقي ، ولا موسى بن عقبة ، ولم يذكره المقريزي في إمتاع الأسماع ، ولا ابن سعد في الطبقات الكبرى .

فعبد الله بن رواحة ـ فيما يقول ابن إسحاق وغيره ـ كان هو الذي شجَّع المسلمين ودفعهم إلى الإقدام حين تردَّدوا في قتال الروم ، وهو الذي رمى قطعة اللحم من فمه حين رأى المعركة تحتدم ، واستكثر على نفسه أن يبقى لحظة في الدنيا وهو بعيد عن المعركة ، أفلا يكون من التناقض أن يكون رجل هذه روحه ، وهذا يقينه ، يدخل المعركة وهو متردِّد خائف ؟!

ثم أفلا يكون من التناقض أن يشجِّع الناس على ملاقـاة الروم، ثم يجبن هو عن ملاقاتهم؟

وأين كان ابن رواحة منذ بـدأت المعركـة بين المسلمين والروم؟ ألَم يكن يقاتل فيها كجندي من جنود المسلمين؟

فهل من الطبيعي أن يكون مقداماً شجاعاً وهو جندي، ثم يكون متردِّداً خائفاً وهو قائد؟

ولو تفحَّصَ ابن إسحاق الرواية لبان له أن فيهـا تنـاقضـاً واضحـاً بين أوَّلهـا وآخرهـا، وأن مواقف ابن رواحـة قبـل المعركـة وفي خـلالهـا يناقض بعضهـا بعضـاً بين أوَّلهـا وآخرهـا، وأن مواقف ابن رواحـة قبل المعركة وفي خلالها يناقض بعضها بعضاً.

ولعلَّ الشعر الـذي نُسِبَ إلى ابن رواحـة هو الـذي أَمْلى على الرواة هذه الرواية، ولكن هذا الشعر ـ وإن كان في ظاهره يُشْعِرُ بالتردُّد ـ هو في حقيقته محاورة بين الشاعر ونفسه، تحمل كل معـاني التشجيع للنفس عند الإقـدام على الموت حتى تُقْـدِم وهي مطمئنـة إلى أن الموت في هـذا الموقف خير من الحياة.

أما ما رواه ابن إسحاق من أن رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر: «لقـــد رُفعـوا إليَّ في الجنَّـــة على سُرُرٍ من ذهب، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحـة ازوراراً عن سَرِيرَيْ صـاحبيـه، فقلت: عم هـذا؟

فقيل لي : مضيا ، وتردَّد عبد الله بن رواحة بعض التردُّد ، ثم مضى » .
فقد ضَعَّفه ابن كثير وقال : إن ابن إسحاق ذكره منقطعَ السَّنَد ، ثم عارضه بالحديث السَّابق الذي رواه البخاري بسنده عن أنس بن مالك .

على أن ابن إسحاق روى في أخبار هذه الغزوة خبراً يدل على أن ابن رواحة خرج من المدينة المنوَّرة وهو لا يتمنّى شيئاً كما يتمنى استشهاده في سبيل الله ، وهذا يدل على حسن بلائه ، وصدق جهاده في الله عز وجل ، ثم أورد ابن إسحاق الشِّعر الذي قاله ابن رواحة : « ولكنني أسألُ الرحمنَ مغفرة .. » ، بعد أن قال له المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وردَّكم إلينا صالحين .

فكيف يوصف رجل هذه روحه بالتردُّد ، في الوقت الذي سنحت فيه الفرصة لتحقيق أُمنيته الغالية ، وطلبته التي كان يرجوها ، ويدعو الله بها جاهداً ؟

ويقول الأستاذ دويدار : أعتقد أن ابن رواحة قد ظُلِم بهذه الرواية ظلماً ينبغي أن يزاح عنه ، وأن يحتفظ له التاريخ بحقِّه كاملاً ، كرجل جاهد في الله مخلصاً ، وأقبل على الموت في سبيله مقداماً غير هيَّاب ، مطمئناً غير جازع ، وعند الله في ذاك الجزاء .

☆ **إن فيما سبق وجهة نظر مقبولة، نضيف إليها :**

إن تردُّد ابن رواحة - إن ثبت في الأحاديث - ليس تردُّد الجبان الذي كره الموت، ولا تردُّد الذي بخل بنفسه من أن تُقْتَل في سبيل الله عز وجل. إنه تردُّد من أراد أن يوصي بشيء ما قبل استشهاده المحقَّق الذي هو ماثل بين ناظريه، أو لعلَّه أراد أن يختار من يقود الجيش من بعده، إنها لحظات أراد أن يوصي خلالها بشيء ما !!

صحيح أن زيداً لم يتردَّد لحظة، فهو يعلم أن الجيش له أميره من بعده، إنَّه جعفر رضي الله عنه.

وصحيح أن جعفرَ لم يتردَّد لحظة، فهو يعلم أن الجيش له من يقوده من بعده، إنَّه ابن رواحة رضي الله عنه.

وتردَّد ابن رواحة لحظة ليختار للجيش أميراً من بعده، أما هو، فيقيناً « فإنّما هي إحدى الحُسْنَيَيْن، إما ظهورٌ وإما شهادة »، فتذكر قول رسول الله ﷺ : « فإن قُتِل عبد الله بن رواحة فَلْيَرْتَضِ المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم »، فتقدم فأكرمه الله بالشهادة.

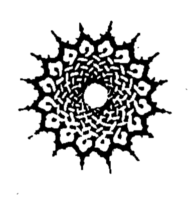
إن تَردُّد ابن رواحة لم يؤخِّره درجة أو منزلة أو مقاماً عن صاحبيه، إن الأمر كله (ازورار في سريره) فقط، إنَّه ميل بسيط لا يذكر في مثل منزلة الأُمراء الثلاثة، فالازورار لغة العِوَجُ أو المَيْل فقط، (لسان العرب : ٤ / ٣٣٤)، وهذا العوج أو الميل سببه هذا

التـوقّف، ليعلم المسلمـون كافـة دِقَّـة الحسـاب، وحسـاسِيَـة المـوازين: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّـاسُ أَشْتَـاتـاً لِيُرَوْا أَعْمَـالَهُمْ، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾[1].

أمـا تردُّد الجبـان المحجم عن الموت، أو تردُّد من يبخل بنفسـه عن الشهادة، ليست عقوبته اعوجاج في سريره، بل عقوبته نقصان منزلتـه ودرجته عن منزلة ودرجة صاحبيه.

هذا ما وفقنا الله عز وجل إليـه في أحـداث مُؤْتَـة، فلـه الحمـد أَوَّلاً وآخراً.





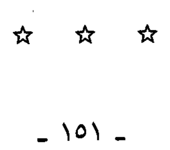
(١) [الزلزلة: ٦ و٧ و٨].



« المشهد / مؤتة »



المحتوى



☆الصُّور والمصوَّرات :

ملاحظة : الصور من دليل مؤتة والمزار للأستاذ عبد الله النسور .

☆ ☆ ☆